الفصل الرابع

الشتات اليهودي بين الرفض والتقدير في الرواية العبرية المعاصرة

المبحث الأول: رفض الشتات اليهودي في الرواية العبرية المعاصرة

«بحث دكتور ج. تامارين ود. تسفي التصور الذاتي للصبار، في مواجهة اليهودي الشتاتي، في بحث أجرى، عام ١٩٦٩م. وقد كانت نتائج البحث الذي كان رائداً في هذا المجال نتائج شاملة. إن «الصباريم» الذين طلب منهم تحديد ملامح الشخصية الصبارية وصفوا نموذجاً مثالياً يتناسب مع الأسطورة الصبارية، ووفقاً لهذه الإجابات كانت صورة الصبار على النحو التالي:

المظهر الخارجي: طويل، له خصلة شعر على جبينه، قوي متين، أسود ذو عينين لامعتين، شعره أصفر أو رمادي. أما الملابس: فتتسم بالبساطة واللامبالاة، سروال، قبعة مائلة. **الشخصية:** فعَّال (يقظ، أحياناً، هائج) عدواني (عنيف ومتمرِّد) يفتقر إلى الكياسة، متفاخر متكبر، وطني، مؤثر، خشن الطباع، مقبول، وصاحب موقف، طيب القلب، جاد ومتزن، يقظ، وعاقل، حر، هادئ، ريادي، لديه حاسة السخرية.

وفي مقابل هذه الصورة للصبار كانت ملامح اليهودي الشتاتي، أحدب ونحيفًا، ذا نظرة غريبة، ضعيفًا ومتمارضًا، عيناه عصبيتان، لديه ضفائر سوداء ولحية، شاحب، وإذا كان بالغاً تظهر عليه علامات الشيخوخة مثل الرعشة، أو التجاعيد، ويرتدي ملابس تقليدية أوربية باهتة وبالية، وعلى رأسه قبعة أو طاقية. ومن حيث شخصيته فهو منغلق وغريب في كل مكان، يستولى عليه الخوف والشك، يبتعد عن مخالطة الناس، ديني تقليدي، ثقيل الحركة، ويفتقر إلى اليقظة والنشاط، ليست لديه ثقة في الذات، منحط، هادئ، ومتواضع، صامت، خجول، مرتبك، يلتزم بالأدب، ومنصاع، متكرر، ولا يستمتع بالمباهج، تظهر عليه آثار مشكلة يعانيها، تلميذ مجتهد، يعمل في المسائل

الروحانية، جاد، بالغ روحانياً. أما المرأة اليهودية الشتاتية فملامحها على النحو التالي: حدباء، نحيفة، أو قصيرة، وممتلئة، ذات شعر أسود، عيناها عصبيتان سوداوان، أو لامعتان، ونظرتها شاحبة»[١].

وأصبح من المعتاد أن ترديد صدى القوة والاستعلاء على لسان قادة إسرائيل في خطبهم وأحاديثهم، وبشكل خاص، عندما يعقدون المقارنات بين ضعف وجبن اليهودي الجيتوى (إزاء تجربة النازي)، في مقابل شجاعة الإنسان الإسرائيلي الجديد. في ٢٩ إبريل ١٩٧٣م، وفي ذكرى مرور ثلاثين عاماً، على أحداث جيتو وارسو، تحدث ديفيد إليعازار، رئيس الأركان الإسرائيلي، في ذلك الوقت، عن تجربة النازي ومغزاها، وعن مغزى انتصارات إسرائيل على العرب، بقوله: «ينبض فينا اليوم إحساس بأن القوة هي أمر حتمي، لذلك فقد أقسمنا بأن نكون أقوياء مسلحين، وقررنا ألا نعتمد على فضل الكرماء، وألا نرهن وجودنا بموافقة الآخرين»[٢].

وقد كان من بين النتائج التي ترتبت على رفض اليهود للسلوك الذي اتخذه يهود الشتات إزاء النازية، واستسلامهم المخزي للذبح دون مقاومة، أن ظهر يهودي من نوع جديد في فلسطين، اعتباراً من منتصف الأربعينيات، بتأثير الحرب العالمية الثانية، يهودي عنيد، وعدواني متشائم، ومقاتل»[٣].

وكان للأدبيات الصهيونية دور بارز في محاولة تصفية الشتات، من خلال كتابات تضخم سلبياته، في مقابل إيجابيات مزعومة للمقابل القومي، من خلال رؤية صهيونية «بأن معاداة السامية أمر طبيعي منطقي؛ لأن اليهودي في الشتات شخص غير منتم، غريب، لابد من إعادة توطينه في وطنه القومي. ولتبرير هذا الموقف كان على الصهاينة أن يبينوا تفوق النموذج القومي اليهودي، وأن يبينوا تدني وشذوذ النموذج التقليدي – أي نموذج يهود الدياسبورا الذي يجب تصفيتهم. لكي يبرر الصهاينة قولهم بشذوذ يهود الشتات فإنهم أقاموا نقداً متكاملاً وتفصيلياً للشخصية اليهودية في المنفى «على أساس أن الاتهامات» المأخوذة من كتابات المعادين للسامية في الغرب. واليهود في

(١)الشامي، رشاد عبد الله (دكتور): إشكالية الهوية في إسرائيل، المرجع السابق، ص ٨٥-٨٦.
(٢)المرجع السابق، ص ١٤٧.
(٣)المرجع السابق، ص ١٤٧.

الكتابات الصهيونية مرابون« وشخصيات يحيون مثل الكلاب والنمل »يجمعون المال، ويتبعون قيم السوق»[1].

ويتحول النقد الصهيوني ليهود الشتات، أحياناً، إلى تصوير كاريكاتيري. فكلاتزكين، مثلاً وصف اليهود بأنهم شعب « قلق، وبلا جذور، يعيش حياة زائفة وفاسدة». واليهودي عند بنسكر، وبنص كلماته – «ضيف في كل مكان»، «وليس في وطنه في أي مكان»، «ويتنقل كشبح من بلد إلى آخر، كجسم غريب»، فهو نصف ميت، سيطر عليه مرض الترحال« ونجد نغمة واضحة معادية للسامية تميز كتابات إسرائيل سنجر، الكاتب الصهيوني، فاليهود بالنسبة له شعب «منحط، قانط، يحيى في القذارة»، وهم مجموعة من آسيا، تحيا وسط أوروبا»، وهم – ككيان مستقل – يمثلون حدبة واحدة كبيرة»[2].

وفي مقال بعنوان «دمار الروح»، جمع كوفمان مجموعة من أوصاف اليهود في الكتابات الصهيونية، على الوجه التالي:

فريشمان: حياة اليهود حياة كلاب تثير الاشمئزاز.

برديتشفسكي: ليسوا أمة، ليسا شعباً، ليسوا آدميين.

برنز: غجر، وكلاب قذرة – كلاب جريحة، لا إنسانية.

يهودا ليف جوردون: طفيليات – أناس لا فائدة منهم، أساساً.

شوادرون: عبيد وبغايا.. أحط أنواع القذارة، ديدان، وطفيليات، نجسة بلا جذور[3].

وقد بدأت الصهيونية وهي ترفع شعار «رفض المنفى»، ولكن بعد قيام الدولة، وخوض إسرائيل العديد من الحروب، في إطار الصراع العربي ـ الإسرائيلي، اتجهت إلى تعديل موقفها، وانتقلت من «رفض الشتات» إلى «تقدير الشتات»، وخاصة الشتات اليهودي في أمريكا وأوربا الغربية، بعد أن استنفذت الهجرة اليهودية كل المخزون

(١)المسيري، عبد الوهاب (دكتور): الحركة الصهيونية، المرجع السابق، ص ٤١.

(٢)المرجع السابق، ص ٤١ – ٤٢.

(٣)المرجع السابق، ص ٤٢.

البشري، من يهود البلاد العربية والإسلامية، ومعظم المخزون البشري من شرق أوروبا، الذي أصبح مصدر دعم مادي وعسكري، عظيم الأهمية بالنسبة لإسرائيل. وهكذا فإنه بدلاً من «مركزية إسرائيل» أصبح هناك «مركزية الشتات»، أي أنه بدلاً من أن تكون إسرائيل هي المسؤولة عن حماية اليهود، أصبح الشتات اليهودي هو المنوط به حماية إسرائيل ودعمها، وصمام الأمان لاستمرار وجود الدولة اليهودية، وبذلك تكون مقولة الصهيونية التي بررت بها قيام الدولة لليهود قد سقطت[1].

وقد تبدلت النظرة تجاه الشتات، وحدث تحول كبير في الأدب الإسرائيلي المعاصر، بعد حرب ١٩٦٧م، حيث عبر الأدب عن المساندة، غير المسبوقة، من الشتات اليهودي للكيان الإسرائيلي، بعد الإعجاب والتفاخر بنتائج تلك الحرب. ومن هنا تبدلت نظرة الكتاب من التدني لليهودي الشتاتي واحتقاره، إلى تقديره والاعتماد عليه. وقد ازداد هذا التقدير مع الشعور بالحاجة الماسة لمعاونة ومساندة الشتات اليهودي لدعم الدولة وبقائها، وخاصة بعد هزيمة حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، والشعور بأن إسرائيل معرضة لخطر الزوال والإبادة، ومن هنا جاء التقدير المتبادل بي الشتات والدولة.

وقبل أن نتعرض لتقدير الأدب الروائي للشتات اليهودي، وصورة اليهودي الشتاتي الإيجابية، نعرض النظرة السابقة للصورة المتدنية لليهودي الشتاتي، وذلك في رواية «فويجلمان» لميجد.

في الكراسة الثانية «لفويجلمان» عثرت على الجزء التالي:

«جلست في صالة السوربون، وسمعت ثماني محاضرات من الدارسين الذين تجمعوا وجاءوا من حوالي اثنتي عشرة دولة لهذا المؤتمر، لبحث أحداث النازية.

أستاذ واحد من بلجيكا، رجل مرتب، صاحب قامة طويلة، هيئته محترمة، يرتدي بزة دون زيادات، حاضر لما يقرب من ساعة حول علاقة الصليب الأحمر باللاجئين اليهود، والمعتقلين بمعسكرات الإبادة.

(١)الشامي، رشاد (دكتور): إشكالية الهوية في إسرائيل، عالم المعرفة (٢٢٤)، ١٩٩٧، ص ١٩

المحاضر الثاني من كندا، قصير، يرتدي نظارة، له صوت صارخ، قرأ موجز البحث الذي ألفه – كمن يقرأ بنود بعقد – حول العلاقات بين سلطات «هورطي» في هنجاريا، وبين سلطات الاحتلال الألماني، في عام ١٩٤٤ ، بشأن حل مسألة اليهود.

المحاضر الثالث أستاذ «يهودي» من فيلادلفيا، إنسان مفعم بالسرور (البهجة)، له كرش، وجنتاه معلقتان مثل كيسي سكر صغيرين على جانبي وجهه، قدماه قصيرتان، ومشيته تشبه مشية البط، ألقى محاضرته بطلاقة، وبشهية كبيرة عن التقديرات المختلفة حول عدد الموتى في كل فرن من أفران الغاز.

أستاذ ألماني شاب، يبلغ من العمر حوالي ٣٥ عاماً، له ملامح صبي صغير، الحمرة تضرب وجنتيه، تحدث بانفعال حاد عن تأثير أحداث النازية على اللغة الألمانية، وتركيب جملتها.

امرأة صغيرة تبلغ من العمر حوالي ٥٥ عاماً، أو ٦٠ عاماً، صاحبة نظرة جادة جداً (صارمة جداً)، ونبرة حديث جدي ومعبر من إسرائيل، تحدثت بلغة فرنسية بطلاقة حول أعمال «يدفاشيم» بتجميع الشهادات تحريراً، أو شفاهة، وادخارها.

أستاذ نمساوي، نحيف، وطويل القامة، يرتدي نظارة مثبتة بدون أذرع، وله شارب مربع، برهن بأدلة كثيرة أن (فرماخت) في دول الاحتلال الألماني كان على علم بأعمال الإبادة، ولكنه شارك في جزء منها[١].

الفقرة السابقة مليئة بأمور كثيرة أراد الكاتب إبرازها حلول أحداث النازية، والمهتمين بها على مختلف جنسياتهم، سواء في الشتات، أو في إسرائيل، ولكن ما يهمنا هنا هو وصف المحاضر اليهودي الشتاتي، وما أراد الكاتب إظهاره من تدني صورته في مقابل الآخرين، وبالذات في مقابل المشارك الإسرائيلي في المؤتمر (سيدة).

أولاً: صفات المحاضر اليهودي الشتاتي :-

١- الشكل الظاهري :-

أ- هيئته غير متناسقة، وله كرش.

(١)מגד אהרון: שם עמ' 212.

ب- الوجه: وجنتاه معلقتان مثل كيسي سكر صغيرين، على جانبي وجه.

ج- القدمان: قصيرتان.

د- المشية: تشبه مشية البط.

٢- **المشاعر والأحاسيس :-**

متبلد المشاعر والأحاسيس، حيث يوصف بأنه «مفعم بالسرور والبهجة، وهذا لا يتناسب مع الموقف الذي هو فيه، حيث يقوم بعرض موضوع درامي مأساوي عن أحداث النازية وقتلاها اليهود بني جلدته، وهو على هذه الحال من السرور والبهجة.

ويلقي محاضرته «بطلاقة» وشهية، على الرغم من أنه في موضع صعب، حيث يتناول التقديرات المختلفة حول عدد الموتى في أفران الغاز، ما بين فرن وآخر في معسكرات الإبادة المختلفة، وكان من الطبيعي أن تبدوا عليه علامات التأثير الطبيعية التي تصيب أي إنسان في هذا الموقف، ولو شيئاً من التلعثم، أو التوقف، أو التردد، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، وسرد هذه الأمور، وأدلى بهذه الإحصائيات، بكل طلاقة.

ثانياً: صفات المحاضر الإسرائيلي

المحاضر الإسرائيلي امرأة وصفت بأنها صغيرة، على الرغم من تقدمها في العمر (٥٥ – ٦٠ عاماً)، مما يدل على احتفاظها بشبابها، وهيئتها الشابة القوية، حيث تملك نظرة جادة جداً تصل لحد الصرامة، وحديثها معبر بتلك الجدية والرصانة، وهي تجيد الفرنسية، حيث ألقت بها محاضرتها وبطلاقة، حول أعمال مؤسسة «يد فاشيم» في الحصول على شهادات عن أحداث النازية، سواء مكتوبة، أو شفاهة، وحفظها للاستفادة منها في وقت الحاجة.

ومن هنا يبرز الفارق الكبير في وصف اليهودي الشتاتي، في مقابل اليهودي في إسرائيل، سواء من حيث الشكل والمضمون، وبالتالي سيظهر الفارق واضحاً فيما بعد، عندما يبدأ التقدير بالنسبة للشخصية الشتاتية عند الأدباء المعاصرين في رواياتهم.

كتب إيهود بن عيزر، يقول: «إن الصبار يحتقر اللاجئين / اليهود، والذين وصلوا إلى فلسطين بعد النكبة، أولئك بالذين لا يعرفون حتى العبرية، وليست سراويلهم مطوية،

بل تتدلى حتى الركبة، وسلوكهم يدل على الضعف، ومتشبهون بالنساء». «وقد أصبح ظهور هذه الشخصية العبرية الجديدة «الصبار»، مقروناً بتحقير توأمه، وهو في الجيتو. وقد ترجم رفض «الجيتو» في الواقع الإسرائيلي إلى رفض لليهودي الجيتوي، وأصبحت شخصية رجل «الجيتو» مرفوضة، وتقرب في حالات كثيرة من الشخصيات المعادية للسامية التقليدية. وفي التصور الذاتي نجد أن «الصبار» الكلاسيكي بعيد عن «اليهودي الجيتوي»، إنه يحتقر عجزه، ويكره ضعفه، إنه يشعر أنه أقرب كثيراً من «الشعب السليم في جسده وروحه، عن ذلك «اليهودي المعقد» في الجيتو كوصمة عار ليهود أوروبا »الذين ساروا كالشاة إلى المذبحة[1]. وعليه فقد أصبحت شخصية «الصبار» نموذجاً مثالياً يعبر عن القوة، في مقابل ضعف النمط الجيتوي للشخصية اليهودية، وأصبحت هناك نظرة تعالي من قبل الصباريم تجاه تلك الشخصيات، وذلك من خلال الأدب العبري المعاصر لهذه الأيديولوجية الصهيونية.

شخصية اليهودي الشتاتي في عيون الصبار الإسرائيلي

رصد «أهارون ميجد» في رواية «فويجلمان» النقد اللاذع من قبل الصبار الإسرائيلي لليهودي الشتاتي المتمثل في شخصية «فويجلمان» (الشاعر اليديشي المقيم بباريس):

« تسفي أربيل، يقول: اطلعت «نورا» زوجتي على الخطاب الذي وصلني من باريس. وعندما ترجمت سطور التحية.

قالت (نورا): «إنه إنسان مضحك».

وعندما أشرت لها على العصفور المرسوم فوق اسمه.

قالت: لا يدل على حكمة كافية.

قلت: نزوة شاعر.

تصفحت الخطاب، وقرأته بعدم اهتمام، عدد من الأشعار، لم تلق استحساني، كانت معظم تلك الأشعار تأبين ورثاء، من الواضح أنها مكتوبة بيد خبير بشئون أحداث النازية – الخراب – القتل – الدمار – أو أشعار الشوق للعالم المنصرم الذي لم يعد مرة أخرى.

(١)المرجع السابق، ص ١٠٥ – ١٠٦.

وأنا غير معتاد على قراءة تلك الأشعار، ولا أملك القدرة على دراستها[1].

عرض «تسفى أربيل» (الصبار الإسرائيلي) الخطاب الوارد له من اليهودي الشتاتي (فويجلمان)، على زوجته «نورا»، حيث كان رد فعلها المباشر بأن فويجلمان إنسان مضحك ولا يملك الحكمة. وهذا رأي صائب من ناحيتها، فهي (صبارية) من مواليد إسرائيل، وترفض الشتات، ورموزه، وشخصياته المتدنية بالنسبة لها.

وقد كان رفضها له صائباً، فقد أوردت أحداث الرواية فيما بعد أنه كان السبب في انتحارها، وتدمير استقرارها، وسعادة أسرتها.

وعلى الرغم من العلاقة التي تربط بين «فويجلمان» ، و«تسفي أربيل» إلا أن أربيل أعرب عن عدم اهتمامه برسالته، وما جاء فيها، وقرأها دون اهتمام، وأكد على رفضه لتلك الأشعار التي جاءت فيها حيث تعبر عن دراما أحداث النازية من الخراب، والقتل، والدمار، وقد اعتبرها منسوجة بيد خبير بتلك الفواجع، وهذا ما يرفضه هو، تماماً، ولا يجيد دراسته على الإطلاق.

ويتطابق الوصف الأدبي في رسم صورة الشخصية الشتاتية، عند «ميجد» وآخرين، فقد وردت كلمة «مضحك»، عند ميجد، وفي كتاب «عميرام أميتاي»، حرب المستنقعات، وفي قصة «نحن نساعدك»، ويعرض «الفتى الجيتوي» الكلاسيكي في هذه الصورة، شاحب الوجه، أصفر، الشعر، ذو ملابس غريبة، ووجهه مستدير.. مثل وجه طفلة – لا يسري فيها لدم .. وشعره الأبيض الأصفر ممشط باعتناء على جبينه الأبيض الناعم، إنه باختصار، النقيض الكامل للمجتمع الصباري الذي يستقبله بالسخرية المعتادة: «بحياتي، إنه مضحك»[2].

ويستمر النقد لشخصية اليهودي الشتاتي ورمزها في الرواية «فويجلمان»، من خلال هذا الحوار:

«تسفي أربيل» قلت: لكني لا أعرفه شخصياً و م . ش. قال إنه قابل (هذا اليهودي)

(١)מגד אהרון: שם עמי ٣٠-٢٩.

(٢)الشامي، رشاد عبد الله (دكتور): الشخصية اليهودية، المرجع السابق، ص ١٠٨.

obeikan.com

في السوربون في اجتماع قومي لبحث أحداث النازية، عقد هناك، وحضر جميع المحاضرات جلس في وسط الجمهور، قليل العدد، ما بين ١٢ أو ١٣ شخصاً، وبعد محاضرته توجه إليه، وقال ما قاله عني وعن كتابي، وطلب إرسال التحيات لي.

سألت من أي نوع (هذا اليهودي) فويجلمان،

قال: يهودي متحمس، يبعث على السخرية بعض الشيء حيث إنه كان يحاول بين كل محاضرة وأخرى أو بالكافيتريا، اقتناص محادثة مع هذا أو ذاك: مع بروفيسور من نيويورك، ومع محاضر من جنيف، يتحدث بأسلوب الجدال.

هل يتحدث العبرية؟

عبرية ليست سيئة، لكن قديمة بعض الشيء، لكنه يتحدث بها.

هل قلت إنه يلقي الشعر؟

لم يكشف لي عن ذلك.

في نفس المساء، جلست لكتابة رسالة شكر، تأخرت شهرين تلك الرسالة، كانت الخطأ السابق إذا كان في الإمكان قول ذلك، فهي سبب الأسباب لكل الذي حدث فيما بعد[١].

تضمنت الفقرة السابقة رفض شخصية اليهودي الشتاتي «فويجلمان»، على الرغم من مشاركته في عمل وصف بأنه قومين وهو بحث أحداث النازية، حيث وصف بأنه مدعاة للسخرية من خلال تصرفاته التي أراد الكاتب أن يبرهن بها على أن الشتات يسكن في أغوار نفسه. فمن صفاته، التنقل من مكان لآخر، ومن شخصية لأخرى، ويتحدث ويجادل بصورة غير طبيعية، مما يدل على عدم استقرار نفسي في داخله، حيث يمكن وصفه كإنسان قلق، علاوة على وصفه بأنه «يبعث على السخرية.

وقد أشير إليه في الفقرة السابقة، مرتين بالإشارة الاستنكارية (هذا اليهودي)، كما لو كان المتحدث غير يهودي، فإذا كان المتحدث هنا هو «أربيل» اليهودي الصبار، فهذا

(١)מגד אהרון: שם עמ׳ ٣١-٣٠.

يدل على محاولة التنصل منه، ومن شخصه، وأفعاله، وإظهار عدم التقارب بينهما.

وتختتم الفقرة بالندم، الذي أبداه «أربيل» على رده على رسالة «فويجلمان»، والتي تمت العلاقة بينهما على إثرها، وترتب عليها ما حدث فيما بعد. من أمور إيجابية لليهودي الشتاتي تتمثل في ترجمة كتاب أشعاره باليديش للعبرية في إسرائيل، ومن أمور سلبية أدت إلى انحراف «نورا» زوجة «أربيل»، ثم انتحارها، وتدمير أسرة أربيل، وهدم سعادتها للأبد.

ويؤكد «أربيل» على بغضه لشخصية «فويجلمان»، وأنه السبب في كل ما حدث له من دمار عائلي، من خلال ما رواه لابنه الصبار الإسرائيلي، الشاب «يوآب» :

أربيل «ليوآب»: أنا ملزم أن أروي كيف تسلل (إنسان غريب) لحياتي ودمرها، دمرها تدميراً كاملاً، إذ لولاه وكل ما يتعلق بتلك العلاقة بيننا، فلم يتوقع، ولم يحدث، ومن المفترض إمكان القول بأن «نورا» (زوجتي) كانت باقية على قيد الحياة، حتى اليوم.

كانت حياتنا سعيدة.

نعم (يا يوآب) كانت لنا حياة سعيدة.

هل تشك في هذا؟

هل تشكك في أني فعلت ما في وسعي لإخراج أمك من كآبتها، في الشهور الأخيرة؟

على الرغم من كل الذي عرفته؟

إنك لم تعرف

وما لم تتمكن من معرفته؟[1] .

أظهرت الفقرة السابقة، بغض «أربيل» الصبار الإسرائيلي «لفويجلمان» اليهودي الشتاتي، ووصفه إياه بأنه (إنسان غريب)، ووصفه، أيضاً، بأحط الصفات البشرية، وهي التسلل لحياة الغير وتدميرها، حيث كانت العلاقة معه وراء دمار حياته تدميراً كاملاً بانتحار زوجته، وتفكك أسرته، وضياع سعادته.

(١)שם עמ׳ ٣٢.

ويصف «أربيل» حياته الأسرية قبل دمارها بأنها كانت حياة سعيدة، وأنه كرب أسرة متخصص في التاريخ اليهودي، وأحزانه، ولكنه يملك قسطاً من الترويح، والرفاهية الروحية لأسرته مع نظرته للحاضر والمستقبل، بعيداً عن الشتات، وتاريخه، وأحزانه، فيقول:

يقول آرييل مخاطباً ابنه «يوآب»:

« وأتذكر الأيام الجميلة، بعد الزواج، حيث كنا نحن الأربعة، أمك، وأنا، وشولاه، وأنت، نتجول بالمدينة في جميع نواحيها للبحث عن شقة لكم. نتجول من بيت لآخر، نصعد سلالم كثيرة نستعرض حجرات، نقيس مساحة، نفحص مطابخ وحمامات، نتناقش مع أصحاب البيوت، مع الوسطاء. وشولاه، بالتأكيد، هي شولاه بنت المستوطنة، كانت عملية جداً بخلافنا نحن الثلاثة، تعرف المساومة لعمل تخفيضات، لتقف على تفاصيل لم تخطر على بالنا إطلاقاً، وكيف أنت وأنا، كنا نجلس، في المساء، كتفاً بكتف.

وبعد أن اشترينا ذلك البيت في «رمت افعل»، وتم حساب الضرائب، وأقساط السكن والفوائد، وكانت مفاجأة لك أن تكتشف بأن والدك لا يحلق في السحاب الحزين للتاريخ اليهودي، ، ولكن له اهتماماته بشئون العالم الحاضر[1].

يتذكر أربيل حياته العائلية السعيدة، التي ولّت، ويروي ذلك لابنه (الصبار يوآب)، عندما كانت تجتمع الأسرة، الأب، الأم، الابن، الابنة، وحتى في أيام البحث عن مسكن جديد لهم وصف لحظات السعادة بعد العثور عليه، وجلسات المساء الأسرية، واكتشاف ابنه بأنه يملك مساحة من الحب، والترفيه، والترويح، والنظرة للحاضر، بعيداً عن أحزان التاريخ اليهودي.

ويربط الكاتب بين السعادة العائلية باكتمال الأسرة الإسرائيلية واجتماعها، والعيش في هدوء، وبين البعد عن التاريخ اليهودي وأحزانه، وكذا البعد عن اليهودي الشتاتي، وما يحمله من أ/ ور تعكر صفوة تلك الحياة، ويربطها كذلك بأمر مهم جداً، وهو السلام مع العرب.

(١) שם עמ' ١٣٦.

وفي هذه الفقرة، يشير الكاتب إلى فترات السعادة والحياة العائلية العادية والطبيعية مع فترات توقف النزاعات الحدودية مع العرب.

إنني أتذكر الكثيرين من العرب، الذين كانوا يعملون عندكم كجليسي أطفال، بعد ولادة «شاريت»، في الوقت الذي كانت، أحياناً، والدتك بمفردها، وأحياناً، كنت ألعب مع الطفلة، حتى تنام.

كانت تلك فترة جميلة.

توقفت فيها النزاعات الحدودية بيننا (بين العرب واليهود)، أصبحنا أسرة طبيعية.

زيارات يوم السبت، بعد الظهر.

الحفيدة تجلس في حجري.

الشاي والفطائر.

الحديث حول ارتفاع الأسعار، وقضايا سياسية وأمنية، ربما لم تنس يوم مولدي – ومولد شولاه. هل تذكرها؟

هل بادرت بها؟ لترسل لي الورود، مصحوبة بتهنئة قلبية، فقد تأثر قلبي جداً لما حدث أيام حرب لبنان، عندما اتصلت هاتفياً من صيدا.

(على خلفية انتشار أقوال حول ضرب حجرة القيادة). واتصلت لتهنئتي بعيد ميلادي[1].

أصبحت الحياة الأسرية العادية والطبيعية التي تنعم بها أي أسرة في أي وطن عادي، من أمن وأمان، وهدوء وسكينة، أمراً مفقوداً في إسرائيل، ولذلك فقد تحول إلى حلم يراود كل من يعيش تحت سقف هذا الكيان الصهيوني الغريب.

وفي هذه الفقرة يشير الكاتب «أهارون ميجد»، إلى فترة قليلة نعمت فيها أسرة الصبار الإسرائيلي «تسفي أربيل»، بتلك الحياة الطبيعية، وذلك من خلال ذاكرته، حيث يروي لابنه الشاب «يوآب» عن تلك الحياة السعيدة، في فترة مهمة من تاريخ الأسرة، وهي فترة

(١)מגד אהרון: פוגלמן שם עמי ٣١-٣٠.

توقفت فيها النزاعات الحدودية بين العرب واليهود، أي أنها كانت فترة سلام حقيقية.

إنه يروي له عن السعادة الكبيرة التي كانت تحياها أسرتهم، على الرغم من كونها أموراً عادية، لكنها تمثل استثناء بالنسبة لهم، حيث يقول: (أصبحنا أسرة طبيعية) في تلك (الفترة الجميلة)، التي (توقفت فيها النزاعات الحدودية) بين العرب واليهود، فكانت الزيارات في يوم العطلة الأسبوعية، ولقاء الأجيال، والآباء، والأبناء، والأحفاد حول مائدة الطعام، وتبادل الأحاديث الودية، والعادية، ومناقشة القضايا العامة.

ويؤكد الكاتب في تلك الفقرة، على أن النزاعات والحروب بين اليهود والعرب هي التي جعلت الأسرة، غير طبيعية، والعكس صحيح.

ويذهب الكاتب إلى أبعد ما يصل إليه العقل من تصور للأمن والأمان، وما يحلم به، وهو السلام الكامل مع الجيران العرب، ويجسده واقعاً وحقيقة، في فترة أطلق عليها (كانت تلك فترة جميلة) حيث جعل العربي (العدو ومصدر القلق لكل يهودي) هو الحارس على أغلى ما يملك اليهودي، وأغلى مما يمكن أن ترتجف القلوب من أجلهم، وهم الأطفال، فلذات أكبادهم، وأبناؤهم الذين يخافون عليهم.

ولم يذكر ذلك كأمر فردي، أو حالة نادرة، ولكنه أراد الكثرة، حيث قال «الكثير من العرب»، وهو ما يؤكد السلام الحقيقي المتمثل في الأمان الكامل بين الطرفين، وحسن الجوار، والعلاقات الطيبة، حيث يجعل من العربي حارساً أميناً لأغلى ما يملك اليهود كجيران.

ربما كانت تلك أمنية وحلماً داخل عقل وفكر الكاتب، وإلا فقد كان في إمكانه أن يشير إلى أعمال أخرى يزاولها العرب لدى اليهود، وهذا أمر طبيعي، ربما يتم حتى أثناء اشتعال النزاع بينهما، ومن هنا، كانت إشارته لأمر نادر، وعمل خاص، وهو حراسة الأطفال ورعايتهم في غياب والديهم، وهذا يقتضي التسليم بالأمن والأمان والسلام بين الطرفين.

وليس هذا بغريب على الأديب الإسرائيلي المعاصر «أهارون ميجد»، فهو يرى أن الأرض مقابل السلام، هو الحل المناسب للقضية العربية الفلسطينية، حيث يقول: « في الواقع إنه من المهم أن نتحدث مع الفلسطينيين، ونتحدث مع من يختارونهم، فإذا

اختاروا أشخاصاً من منظمة التحرير الفلسطينية، يكون الحديث معهم. لا يجوز لنا أن نمنح أنفسنا حق الاختيار نيابة عنهم. ستكون النتيجة في نهاية الأمر، أياً كانت، هي تقسيم الأراضي، ومنها ما يخص السكان اليهود القدامى (اليشوف)، وإذا كان من حق اليهود العيش في شتى أنحاء العالم، فلماذا لا يعيش اليهود في الخليل، أيضاً، تحت سلطة فلسطينية، «إن الحل الكونفدرالي يبدو لي واقعياً»[١].

وبناء على ما تقدم ربط ميجد من خلال الفقرات السابقة برواية «فويجلمان» بين: -

- اليهودي الشتاتي وأفكاره غير المقبولة صبارياً — دمار الأسرة.
- التاريخ اليهودي، وأحزانه. — كآبة الأسرة.
- الحروب والنزاعات مع العرب. — أسرة غير طبيعية.

وفي مقابل ذلك، فالسلام مع العرب هو السحر الذي يخلص الأسرة الإسرائيلية من دمارها، وكآبتها، وتصبح طبيعية تنعم بالسعادة.

الصراع بين الهوية الإسرائيلية الصبارية وبين الهوية اليهودية، هو بلا شك من المسائل والمشكلات المثارة، ورواية «فويجلمان» أبرزت الهويتين، وصراعهما المستمر على أية حال، في الحياة اليومية، والوصول لنتائج جريئة في غايتها، والوصول إلى صيغة صادقة كحبكة عائلية في السرد، وكان هو الهدف من الرواية[٢].

وحول سلبية وتدني شخصيات يهود الشتات، يعرض «أبيلفلد» في رواية «حفرة الثلج»، مجموعة من اليهود، أقل ما يمكن أن يوصفوا به، هو برود المشاعر، حيث يقول:

«بعد تشييع جنازة (هونيج) قدمنا للهاربين قهوة. أمسك الهاربون بالفناجين، وقد طوقوها بأيديهم». وقالوا: قهوة جيدة، قهوة ممتازة. وظهروا في سمو، وكانوا أقوياء وأشداء، كما لو كانوا يستعدون لحرب جديدة[٣].

---

(١)הדרי، רמג: עם אהרון מגד לכבוד יום העצמאות ،ידיעות אחרונות، מוסף לשבת، ٢٣/٩/١٩٩١ ،עמי 17 .

(٢)אהרון יוסף : הצבר חוזר אל הזהות שם עמי 20.

(٣)אפלפלד אהרון : שם עמי 20.

تتعرض الفقرة السابقة لواقعة محددة ومعينة، وهي تشييع جنازة (هونيج) الذي مات منتحراً، وشارك في جنازته مجموعة من اليهود الهاربين من المعسكرات، وقدم لهم أصدقاء المتوفى قهوة، فكان من المفترض أن يكون رد فعلهم متناسباً مع المتمثل في حالة وفاة غير عادية لواحد من بني جلدتهم، يهود الشتات، وذلك بشيء من الحزن أو التأثر، لكن ظهروا بمشاعر باردة، وعدم تأثر بالموقف، وكان شغلهم الشاغل هو احتساء القهوة الجيدة.

أما سامي ميخائيل، أديب الطوائف الشرقية، فيجعل من بطلة روايته «فكتوريا»، شخصية ضعيفة أمية لا تملك من أمرها شيئاً، سوى الخضوع الذليل للرجل. ومن خلال الرواية يعالج الأحداث بمصداقية كبيرة، كأديب يعرف كل شيء، ويملك أدواته ببعد نظر، حيث يملك ميزة الإصغاء والرؤية، ويصف بغداد كمراقب لها ولأسطحها، ومن ضمنها بيته، كما لو كان مراقباً من مرتفع عال عن تلك الأسطح، ويرسم بواقعية صورة النساء في الحي اليهودي ببغداد. ويصف نساء الشتات اليهودي الشرقي ببغداد من خلال الرواية، فعلى سبيل المثال، «نجية» والدة «فكتوريا»، امرأة مبلبلة فكرياً، لدرجة الجنون من الإرهاق والخوف، مع تعلقها بالحياة والبقاء، بنفس الدرجة الحمقاء، فهناك شخصية «توية»، وهي عمة «فكتوريا»، وتصغرها سناً، وهي تمعن في التدلل والبقاء شابة صغيرة، مدللة للأبد. وشخصية «مريم»، تعبر عن الفتاة الطاهرة نقية القلب، وهي ابنة عم «فكتوريا»[1].

وحول ما أثير في رواية «فكتوريا» عن يهود الشتات العراقي أجرى «يعقوب باسار»، حواراً مع الكاتب «ميخائيل»، على صفحات الملحق الأسبوعي لصحيفة « معاريف »، وسأله: « في أعقاب نشرك لرواية «فكتوريا»، ألم يثر عليك الجمهور؟ ألم يتهموك بأنك قد تطاولت على شرف يهود بابل؟ فأجاب: «لقد كتبت رواية «فكتوريا» بعد تفكير شاق جداً. وفي نهاية الأمر، قلت لنفسي، إن هذه الرواية واحدة من مجموعة رواياتي. حيث يوجد من بين تلك الروايات، روايات قد أضاءت الوجه المهيب لهؤلاء اليهود»[2].

(١)הראבן גיל : (מחזאית ועתונות) ספר ביקורת להיות עם חופשי ב ויקוריה סמי מיכאל ידיעות אחרונות 1993/12/8 עמי 8 .

(٢)בסר יעקב : עם סמי מיכאל מוסף השבוע מעריב 1993/12/3 עמי 8 .

وعلى صفحات جريدة «عتون ٧٧»، أجرى، يعقوب باسار، أيضاً، حواراً مماثلاً لما أجراه مع الكاتب «سامي ميخائيل» (آنفاً)، وذلك مع الكاتب «أهارون أبيلفلد»، حول رواية «حفرة الثلج»، وما احتوته من أحداث وألوان مختلفة من الشخصيات الشتاتية، والعلاقة بين ذلك كله وما يجري الآن في إسرائيل. ومن أهم ما جاء في ذلك الحوار:

قلت: إن جانباً منك شخصياً يسود كل الصور بالرواية، وأيضاً، الضابط بروس؟

بصورة قاطعة، هو ضابط يهودي، وفي كل أسرة يهودية كان هناك،حاخام، أيضاً، وشيوعي، وعضو في البوند، وصهيوني، وأيضاً رجل يريد أن يكون ضابطاً برتبة رائد بالجيش النمساوي.

هل من خلال المفهوم النفسي لذلك الرجل يمكنك أن ترصد شيئاً ما عندك؟

(أجاب أبيلفلد): «أنا مضطر للاعتراف. جئت هنا (إسرائيل) وكان لدي قلق من التقليد، ورغبة في التغيير، وبخاصة في السنوات الأولى، وبتعبير آخر أن أكون عالياً جداً، أن أكون أشقراً جداً، ومشابهاً لمواليد البلاد السمر. وليس هذا بالشيء المطلوب منك، ولكن هذا ما شعرت به. على أية حال، إن هذا أفضل بالنسبة لك، إذا كنت معتدلاً جداً. على سبيل المثال، الفقرات التي استعرضها الضابط (ليس كالأغنام نساق للذبح)، اقتطعوا لحماً من كل من جاء لإسرائيل، حيث اتهمت باللف والدوران (كالأغنام المساقة للذبح) كان هذا محزناً ومخجلاً»[1].

رفض شخصيات الشتات اليهودي، وإظهار سلبيتهم لم يقع فحسب، على الشخصيات العادية، ولكن رأينا الكاتب الشتاتي «أبيلفلد»، يعرب عن ذلك في قرارة نفسه، ويشعر به، وأراد بالتالي أن يغير من ملامحه في إسرائيل، ليقترب من ملامح الصبار الإسرائيلي، وخاصة، في سنواته الأولى، بعد الهجرة، فهو يصف اليهود عامة بالشتات، وبأنهم «كالأغنام يساقون للذبح»، دون دفاع أو أدنى مقاومة.

كما جاء في رواية «حفرة الثلج»:

«سمع ضابطنا القصة، ولم يهتم؛ لأنه كان منهمكاً في تدريب المتطوعين، حيث

(١)בסר יעקב : אהרון אפלפלד כשאתה רואה את המוות השפה מצלמצמת שם עמ' 4.

يتدرب جنوده من الصباح، وحتى حلول الظلام. وكان هناك من بين المتطوعين عدد من الأفراد كبار السن، تعتبر التدريبات شاقة بالنسبة لهم.

ولكن الضابط لا يسمح لهم بأن يكونوا (كالأغنام تساق للذبح)، فهو يصيح، وفي صوته نبرة مخيفة[1]. فهنا، مجموعة من اليهود في إحدى المعسكرات بالشتات، يتلقون تدريبات عسكرية، ويشق عليهم ضابط التدريب، ويصفهم بالأغنام، التي لا تملك أي إرادة للدفاع عن نفسها، أو حتى مجرد الاعتراض على الذبح، وهذه الصفة يشار بها لليهود الذين تعرضوا لأحداث النازية.

وقد جاء في رواية «حفرة الثلج»، حول نفس الموضوع:

«لم تكن الليلة هادئة. فبعد أن تناول ضابطنا وجبته وشرب عدداً من الكؤوس، وقف في ميدان التدريب، وأدان اليهود وطباعهم، وأنهم لا يجيدون الدفاع كما ينبغي.

(وتم سوقهم للذبح كالأغنام)

وهكذا فإن عجرفته كدرت هذا المساء[2].

إن النقد في الفقرة السابقة، صادر من يهودي شتاتي، أيضاً، ولكنه ضابط في موقع السيطرة على بني دينه في المعسكر، وأوضح عن أن السلبية هي طبع من طبائع اليهود، وتحدث بزمن الماضي، مشيراً إلى تأكيد ذلك الطبع في داخلهم، إذ إنهم تم سوقهم للذبح كالأغنام، ومن وجهة نظره، فإنه يضغط عليهم لتغيير هذا الطبع السلبي.

ولا غرابة في ذلك، إذا كان الكاتب نفسه «ابيلفلد»، يشعر بتلك السلبية الشتاتية.

وفي الفقرة التالية من رواية «حفرة الثلج»، تصل السلبية إلى العقل اليهودي، والحكم هنا على مجموعة في أحد المعسكرات الغربية (على نهر البوج):

كان الثلج يسد المنافذ حولنا من جميع الجهات. وكان التاجر سالو، قصير القامة، يسير في إثر بنحاس، وسويا ليحضرا أشجاراً وحاجيات، ويسدا بها الثغرات.

(١)אפלפלד אהרון : מכרה הכרת שם עמי ١٦٥.

(٢)שם עמי ١٦٥.

وكان ما علمناه، حتى الآن، هو على هيئة «حفرة ثلج»، وفي وسطها كوة نار لتدفئتنا.

هنا يتعلم الجسد اليهودي أن يعمل، والعقل اليهودي أن يحيد عن الضلال:

هكذا صاح الرقيب، وصاح مرة أخرى، قائلاً:

من سيبرهن بأنه مستعد أن يتغير سينقل إلى المرحلة التالية.

إنهم، دائماً، يوزعون الوعود الجوفاء، ونحن نجني منهم الأوهام.

إنها شائعات؛ لأننا لم نلحظ في هذا الجو المغلق أية مرحلة تالية.

ادعى ضابطنا، وقال إننا نفحص، وهناك من يوزع لوحدة قتالية، وآخر يوزع لوحدة خدمات.

واتهم كعادته «اليهود» الذين يتهربون من الناحية البدنية، فالجسم اليهودي في حاجة إلى التدريب الشاق للتعود على العمل، وكما أن العقد قد وصل بالضلال، وبالحاجة إلى التقويم، والتنحي عن الضلال، وكانت تلك هي مهمة المعسكر لإحداث التغيير للأفضل لهؤلاء المجموعة من اليهود.

وقد أعلن الضابط المسئول عن تدريبهم، وبالتالي تقييمهم، أنه سوف يوزعهم على الوحدات القتالية المختلفة، حسب ما تصل إليه كفاءتهم، وفي النهاية، وجه اتهاماً بشكل عال لليهود الذين يتهربون من الخدمة العسكرية من العمل بالوحدات القتالية.

ويشير «أبيلفلد»، في رواية «حفرة الثلج»، إلى أن «اليهود» في الشتات والمعسكرات، يتهربون من الخدمة العسكرية، وإذا حدث وتواجدوا بالفعل تحت التدريب، كما هو الحال في (معسكر نهر البوج)، فإنهم يتهربون من الخدمة الميدانية، وفي الوحدات القتالية:

اتضح لنا مع الصقر الهائج فحسب، أن الذين أطلقوا الرصاص هم معتقلون مثلنا، وكانوا واثقين، أيضاً، أن الرقباء سيخرجون من مخبئهم، ويحاولون الانقضاض عليهم، ومن ناحية أخرى، فهم يملكون سلاحاً آلياً، فقرروا إطلاق النيران، والدفاع عن أنفسهم.

طلب منهم ضابطنا الإذعان، وها هم قد رفعوا أيديهم، وجاءوا لاستدعائنا، وتمت السيطرة عليهم، على الفور، لإخضاعهم وإذلالهم. واستسلموا بالفعل، وتم احتجازهم، لمدة ساعة كاملة.

وفي وقت متأخر، وقف ليخطب، وتحدث عن ازدرائه لليهود الذين رفضوا التجنيد في وحدات قتالية، ووجدوا مأوى في المخازن والمقاصف.

ولم يهدأ باله، حتى قال: (ليس عبثاً كراهيتهم لليهود) [1].

نخرج من الفقرة السابقة بما يلي:

أ- سلبية شخصيات اليهود الشتاتية إلى حد الجبن، وتهربهم من الخدمة بالوحدات القتالية بعد تدريبهم عسكرياً، وهروبهم للعمل في المخازن والمقاصف.

ب- التأكيد على إذلال وإهانة الشخصيات اليهودية بالمعسكر من قبل الضابطن وهو يهودي.

ج- أن ازدراء اليهود وكراهيتهم لم يأت من فراغ، ولكن بسبب سلبيتهم.

د- أسلوب معاملة الرقباء والضباط، وهم من اليهود لذويهم اليهود بالمعسكر، يؤكد أنانيتهم، وتعاونهم التام، وإخلاصهم للنازية في معسكراتها.

ويحاول «أبيلفلد» أن يلتمس العذر لأسلوب هذا الضابط اليهودي، فيقول: «أنا لست رجل سياسة، إن شغلي الشاغل هو الإنسان، وأفكاره، وأوهامه، وعندي مشاركة وحدانية مع الجميع، وحتى الضابط الذي يريد الضعف اليهودي، ليكون هو القوي، فقد أصبح رجل جيش، يرتدي الزي العسكري، ومن هنا، يبدأ التشويه من لحظة القول، «كل من لم يكن بالجيش فهو جبان»[2].

وقد حرص «أبيلفلد» في موضع آخر من «رواية» «حفرة الثلج»، على إبراز نموذج آخر من الضباط اليهود بالشتات:

كشف لي «هونيج» عن موضوع آخر إن: ضابطنا «تيئوشتالنكت»، يمت لي بصلة قرابة

(١)شم عمي ١٤٣.

(٢)شم عمي ١٦٦.

بعيدة، من ناحية أمي. اعترضت الأسرة، في البداية، على تجنيده، ولم يدركوا العوائق، وعندما تبينت الأسرة تلك العوائق والمصاعب، أصرت على اعتراضها، ولكن في النهاية، عندما أنهى دورة الضباط، وظهر بالزي العسكري، اعتذروا له، وكانوا فخورين به.

وبعد أن رقي مبكراً لدرجة نقيب، اتهم بإخفاء أسلحة، وتزوير مستندات. كانت تلك ذريعة، وأقام القضاء الدليل على أساسها. ولكن القضاة، أيضاً، عندما برءوه من كل تهمة، لم يمنعهم ذلك من تأنيبه عن إهمال روتيني محدد. قدم عريضة استئناف لمستوى قضائي عال جداً، استمرت القضية، عاماً كاملاً. وفي النهاية، لم يلغ جزاء التأنيب، كان ذلك بمثابة ضربة قاضية له. وفي البداية، اتهم ضابط وحدته بأنهم تجنوا عليه، ولفقوا له التهمة.

وفي النهاية اتهم نفسه، وقال:

«اليهود على ما يبدوا غير مؤهلين لأن يكونوا رجال جيش»[1].

لقد عرض «أبيلفلد»، من خلال أحداث رواية «حفرة الثلج» شخصية الضابط اليهودي الشتاتي، وكذا الرقيب من خلال العمل بالمعسكرات النازية. وحرص من خلال العرض على أن يصور كلاً من الضابط والرقيب في صورة بشعة، من حيث الشكل، ومن حيث السلوك، لدرجة الوصف بالإرهابي في بعض المواقف.

وإذا كان أبيلفيلد قد عرض لنماذج من الضباط والرقباء من المتعاونين مع النازية ضد بني دينهم اليهود في المعسكرات، ممن جعلتهم أنانيتهم حريصين على أنفسهم فحسب، وجعلتهم يظهرون سلوكاً نازياً أقوى من سلوك النازيين أنفسهم، فقد عرض تلك الفقرة لنموذج آخر من الضباط اليهود في الشتات، يختلف عن النماذج السابقة، حيث أنه في وحدة قتالية، ولكنه لم ينجح، أيضاً، كما عرض من قبل لتهرب اليهود، بشكل عام، من الوحدات القتالية.

وفي النهاية، جاء الحكم العام على لسان الضابط نفسه، بأن اليهود «غير جديرين بأن

(١)אפלפלד אהרון : מכרה הכרת שם עמי ١٠٠.

يكونوا رجال جيش»، والمقصود هنا رجال جيش ناجحون؛ لأنه بالفعل أصبح رجل جيش في درجة نقيب، ولكن الفشل، أياً كانت أسبابه، كان حليفه.

انحراف الخاخامات في الشتات، وإسرائيل بين الماضي والحاضر

ويعد الحاخام اليهودي في الشتات، أو في إسرائيل، شخصية مهمة على المستوى الجماهيري والديني، أو على المستوى الرسمي، حيث يلقى تقديراً من الجميع. ويزداد التقدير الجماهيري للحاخام في الشتات؛ لأنه المرجع الأول والأخير في جميع الأمور الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية.

ففي رواية «فكتوريا» «لسامي ميخائيل»، التي تدور أحداثها في العراق، مصورة الطائفة اليهودية هناك تبدو صورة الحاخام أقرب إلى السلبية، من حيث الشكل والمعاملة:

هزت «توية» المحظوظة رأسها بكل قوة، وقالت:

تذهب إلى الحاخام «جوري شتييات»، حيث يقرأ لنا المكتوب هنا. واقترحت مريم احتمال أن يكون مجرد تعويذة.

وذكرتها فكتوريا، قائلة: إن الحاخام لا يفعل أي شيء بالمجان. فضغطت «توية» على كيس نقود صغير كان مربوطاً بخيط حول خصرها، ومخبأ بالملابس الداخلية.

وقالت: معي بعض النقود الفكة.

قطب الحاخام وجهه، وفحص الثلاثة (فكتوريا، توية، مريم)، وقال بعجرفة، إن لم يكن هذا عملاً هزلياً فهو شيء تافه مدعاة للاستهزاء به.

خافت «توية» و«فكتوريا» من ملامحه الذابلة، وعينيه الواسعتين من وراء نظارته لدرجة الرعب.

لكن مريم ظهرت متماسكة، حتى لا تنهمك في الضحك.

وصوب الحاخام العالم عينيه إليها، قائلاً: أعرف الرقعة؟

أنت لست ابنة السيد يهودا؟

خافت مريم أن تتحدث حتى لا يخرج الضحك المحبوس داخلها، وهزت رأسها.

لوح المعالج التقي لأبناء الحي، بورقة في وجهها بطنين قاس، وقال: ربما سرقت هذا من والدك.

قالت: جلبتها الرياح. أجابت «فكتوريا» بدلاً من مريم المختنقة بضحكها الصامت. وأنت يا ابنة السيد عزوري؟

همس الحاخام، كما هو معتاد بنوع من الغضب، ونظر في قصاصة الورق، وقرأ بدون صوت[1].

لقد رسم «سامي ميخائيل»، صورة سلبية متدنية للحاخام «جوري»:

فمن حيث الشكل، هو عبوس الوجه، وملامحه ذابلة، ويحملق بعينيه الواسعتين من وراء النظارة، لدرجة تبعث على الخوف، وتصل لحد الرعب والسخرية، لدرجة الضحك، في نفس الوقت.

ومن حيث سلوكه، فهو إنسان مادي، لا يفعل أي شيء، دون مقابل، ولم يعامل النساء الثلاثة معاملة حسنة، ونظر إليهن بعجرفة، وسخر منهن، واتهمهن بسرقة الرقعة، في حين تم العثور عليها في مهب الريح.

ووصفه الكاتب بعد هذا كله، بأنه التقى المعالج للحي، حيث يسخر منه، ومن مسلكه، حيث ظهر غاضباً عندما بدأ في مهمته، وهي قراءة الورقة نظير مقابل مادي.

ويستمر «سامي ميخائيل»، في إتمام رسم جوانب صورة الحاخام «جوري»، وإخراجها لنا على الشكل الذي ظهر به من خلال مسلكه مع سيدات الطائفة العراقية ببغداد، أثناء قراءة الرقعة، وتفسيرها لهن على النحو التالي:

«همس الحاخام، كما هو معتاد منه بنوع من الغضب، ونظر في قصاصة الورقة، ثم قرأ بدون صوت».

إن جميع الناس يطلبون الرزق من الرب وهو يعطيهم. ولكن ثلاثة فقط من أصحاب

(١)סמי מיכאל : שם עמ 67-68 .

المهن يصلون للرب لطلب الرزق، ولكن الرب لم يستجب لهم.

الأول: طبيب يدعو الرب، ويريد رزق، وزرقه يعني مرض الناس حتى يداويهم، والثاني: يعمل في بيع صناديق الموتى، ويكون رزقه مع موت الناس، والثالث: هي الزانية التي تطلب المغفرة. هؤلاء الثلاثة يصلون، ويطلبون الرزق، ولكن الرب لم يستجب لهم.

همست إليه «توية» قائلة: ما هو المكتوب هناك؟ أنا مستعدة للدفع.

امتدت يد الحاخام اليسرى، وقبضت على النقود.

وصوبت يده اليمنى الورقة مرة أخرى أمام نظارته.

ولم تستطع مريم أن تتمالك نفسها، وهربت للحوش لتأخذ حريتها في الضحك.

وبدأ الحاخام في شرح المكتوب بالرقعة.

إنه (عن عامة الناس)، وهم يطلبون رزقاً من الرب، وهو يعطيهم.

كان الحاخام صاحب حنجرة قوية، ولكن «فكتوريا» لم تعرف ما إذا كان الحاخام يتمتم، أم يكتم ضحكه.

وعند باب حجرته سمعته يثرثر، ويقول:

«عظيم الآن أنا، و(رحمة عفصة)، نجلس على حصيرة واحدة.

لم يخطر ببال «فكتوريا»، على الإطلاق، أن تطلب منه الرقعة.

ولا زالت مريم بالخارج تنهمر بالضحك.

ابتسمت فكتوريا، وقالت ماذا جرى لك.

ذلك الحاخام الرجل المبجل الذي يحرص في كل ثانية على عدم لمس يد أي امرأة.

كنت أفكر، طوال الوقت، ما هو تصرفه لو كان قد عرف كيف كانت النقود قبل أن تنتقل إلى يده[1].

(١)אותו מקוור עמי 67-68 .

أكد الكاتب الطائفي الشرقي «سامي ميخائيل»، في هذه الفقرة على تفريغ صورة الحاخام «جوري» من مضمونها الديني، كما هو الحال في الشكل الخارجي. وفي كلتا الحالتين تبدو الصورة سلبية ومتدنية، وبالتالي لا تلقى تلك الشخصية الشتاتية المهمة، سوى الرفض من قبل الصهيونية.

فمن حيث الشكل، فهو غير طبيعي (كما ورد من قبل). وعن سلوكه، فهو إنسان غضوب، ومتكالب على المادة، في غير موضعها، فما قام به من قراءة للرقعة لا يستحق الأجر، ولكنه مجرد أن سمع السيدة «تورية» تعرض عليه النقود، حتى سارع ببسط يده اليسرى، وقبض على النقود.

قرأ الحاخام الرقعة، وشرحها لسيدات الحي اليهودي، وكان موضوعها حول لجوء الناس في صلواتهم للرب، وطلب الرزق، وبالرقعة أصحاب ثلاث مهن، هم طبيب، وبائع صناديق موتى، وبائعة هوى، يصلون، ويتوجهون للرب في طلب رزقهم، ولا يجيبهم.

ولم يعلق الحاخام بشيء على ما ورد في تلك الرقعة من مخالفة لناموس الحياة والدين، (لا يجيبهم)، وهو من المفترض الطبيعي أن يكون ملماً بأمور الدنيا والدين، وبالتالي عليه أن يرد الأمور إلى صحيحها، وهو من المفترض أن ينحاز إلى الصورة الطبيعية والصحيحة، ولكن جهله جعله يصمت، بل ويعتبر نفسه حاخاماً ذا شأن كبير، تلجأ له الناس في أمورهم ومشاكلهم.

وتسخر «فكتوريا» من الاحترام المزعوم للحاخام، وحرصه على الظهور بمظهر التقي الورع الذي لا يلمس يد النساء مطلقاً، فما بالك لو عرف أن النقود التي تلهف في القبض عليها بيده، أنها كانت في الملابس الداخلية لإحدى السيدات.

والنقطة المهمة في تلك الفقرة هي كون الشخصية، تدعو للضحك من قبل إحدى السيدات (مريم)، فذلك تأكيد من الكاتب على تدني الشخصية، رغم أهميتها كحاخام، وما له من هيبة واحترام لدى الجميع، وخاصة في الشتات.

وإذا كان «سامي ميخائيل»، قد عرض في رواية «فكتوريا»، شخصية مهمة في الشتات العراقي، وهي شخصية الحاخام «جوري»، كشخصية سلبية من حيث الشكل

والمضمون، ومدعاة للسخرية والضحك، فإن الأديب «أهارون ميجد»، قد عرض في رواية «فويجلمان»، لشخصية عظيمة الأهمية، تمثل الشتات اليهودي الأوروبي، وهي شخصية الشاعر اليديشي «فويجلمان»، المقيم بباريس، وقد عرض الشخصية في سلبيتها. ومن أهم ما عرض من مظاهر سلبياتها، أنها شخصية (مدعاة للسخرية، ص٢٩) وقد قالت عنه «نورا» (إنه إنسان مضحك، ص٣٠)[١].

بالإضافة إلى ذلك فإن شخصية الحاخام على أهميتها عرضها، أيضاً، الكاتب «أبيلفيلد»، ضمن شخصيات الشتات الغربي، من خلال الحاخام «شحيتان»، حيث قال عنه: « ظهر لي الحاخام نفسه، قصير جداً، على عكس ما عرفته»، حيث جاء ذلك على لسان بطل رواية « حفرة الثلج »، ص ١٢٣ (بالرواية)، وهذا يمثل وصفاً سلبياً ومتدنياً لتلك الشخصية.

ومن هنا، يبدو تطابق الأفكار لدى الأدباء في تصوير شخصيات الشتات المهمة، وعلى رأسها الحاخام في صورة سلبية ومتدنية، سواء في الشتات الشرقي (سامي ميخائيل رواية فكتوريا)، أو في الشتات الغربي، عند كل من (أهارون ميجد رواية فويجلمان)، و(أهارون أبيلفيلد رواية حفرة الثلج).

ويستمر انحراف حاخامات اليهود في الشتات، ويزداد داخل إسرائيل، بشكل ملحوظ، «ففي دراسة نشرها معهد القدس للدراسات، أخيراً تبين أن ٧١.٩٪ من رجال مجتمع الحريديم «الحاخامات» بمدينة القدس، لا يعملون، ويعتمدون على زوجاتهم في العيش، ورغم ذلك فزوجاتهم أكثر الفئات تعرضاً للضرب والإيذاء على أيديهم. وأكثر الجرائم انتشاراً بين رجال الدين في إسرائيل، هي جرائم التحرش الجنسي، والاغتصاب، فمنذ فترة أقامت خمس سيدات من جنوب إسرائيل، دعوى قضائية ضد أحد الحاخامات يتهمنه بالتحرش الجنسي بهن، وكشفن في الدعوى أن الحاخام يخدع أنصاره ومريديه بأنه صاحب خوارق، وقوى غير طبيعية[٢].

كما تلقت الشرطة الإسرائيلية شكوى أخرى من إحدى الفتيات تتهم فيها حاخاماً

(١)وردت هذه العبارة في بداية الفصل، ص ٢٤٣.

(٢)عيسى، محمد، الجريمة خارج الحدود، حاخامات إسرائيل مجرمون، الأهرام ٢٧/ ٤/ ٢٠٠٢م، ص٢٧.

من مدينة حيفا باغتصابها، بعد أن لجأت إليه كي يساعدها على التوبة والإقلاع عن ذنوبها، فما كان منه إلا أن قام باغتصابها بدعوى منحها البركة. وبعد القبض عليه تبين أنه متورط في عدة قضايا مماثلة، ولم تقتصر جرائم الحاخامات على اغتصاب النساء فحسب، بل تعدت إلى ما هو أقذر وأحط باغتصاب الأطفال والمراهقين، فقد شهدت السنوات القليلة الماضية، ثورة عارمة تطالب بإلغاء التعليم الديني في إسرائيل، عقب اتهام إحدى المدارس الدينية في إسرائيل الحاخام (زئيف كوبلوفيبش)، بالاعتداء جنسياً على المئات من تلاميذ مدرسته[1].

كما هزت جريمة الحاخام (إيلان مور) الذي يتولى وظيفة الجابي في المعبد اليهودي، صورة رجال الدين في إسرائيل بصورة أكبر، حيث قام هذا الحاخام باغتصاب تلميذة بإحدى المدارسة الدينية، وكانت تبلغ من العمر (١٥ عاماً)، داخل المطبخ الملحق بالمعبد[2].

ومن هنا يتأكد الرفض للشخصيات اليهودية الشتاتية، مع امتداد التدني والانحراف لتلك الشخصيات، ومن أهمها الحاخامات، في الوقت الراهن، داخل إسرائيل.

فشل رواد الصهيونية في تحقيق أحلام اليهود

ويواصل الأدب الروائي الإسرائيلي المعاصر رصد ورسم شخصيات الشتات اليهودي، سواء الشرقي أو الغربي، مع إظهار سلبياتها، بدءاً بالشخصيات العادية والعامة، ثم المهمة، وحتى أكبر الشخصيات الصهيونية، والرموز الأوائل للحركة في دول الشتات الغربي، وذلك في رواية «فويجلمان» لأهارون ميجد:

«يزخر النصف الثاني من الكراسة بترديد صدى لـ «هلع يهودي»، على غرار الهلع الذي أصيب به «فويجلمان».

كانت البداية بصوت راسخ، محترم، صوت أكاديمي، تقريباً، كما لو كان على وشك أن يخرج من تحت قلمه مقالاً نظرياً، حيث يهتم بمناظرة حول (التدني الصهيوني) بأن

(١) المرجع السابق، ص٢٧

(٢) المرجع السابق.

دولة يهودية منوطة بأن تزيح معاداة السامية من العالم. ولكن بعد ورقة ونصف، أصبحت الجمل مكشوفة ومحطمة «محنة وغضب»، تتخللها كلمات ممسوحة، كلمات مشددة بخطوط محفورة، تمزق الورق، تقريباً، كلمات تضغط على كلمات...

هؤلاء الحمقى الذين ارتادوا الاجتماعات في الحدائق العامة، ويرتدون القبعات ... هيرتزل، ... فايتسمان[1] ... جابوتنسكي ... حماقة ! ..

إنهم لم يتعلموا كيف يقرؤون التاريخ ....

إنهم لم يفهموا مكنونه .....

أقلية؟

هل قتلونا من حيث إننا أقلية؟

حتى «بلعام» عندما قرأ الأجيال من البداية، فقال:

«شعب مشرد يعيش ولا يلقى بالاً بالأغيار»

هل يبحثون عن عقلانية؟

لا توجد عقلانية ....

توجد شياطين ... شياطين فحسب. مشاعر غضب.

بكل جيل وجيل، نعم بكل جيل وجيل....

ومنذ أن أقيمت الدولة (إسرائيل)؟

والعالم يكره قيام هذه الدولة (وجودها)، سواء كانت متقدمة، أم متخلفة (قوية أو ضعيفة)، لا يسمحون لها حتى باقتراف خطيئة النصر على أعدائها.. السوط يجلد ..

(١) فايتسمان: حاييم وايزمان هو أول رئيس لدولة إسرائيل، وهو من زعماء الحركة الصهيونية، في فترة ما بعد موت هيرتزل. ولد في روسيا ١٨٧٤م، وهو من أوائل «محبي صهيون» الذين انضموا لهيرتسل، شارك في المؤتمر الصهيوني الأول ببازل. كان من معارضي مشروع أوغندا، في ١٩٢٠، اختير رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية، وفي ١٩٥١ اختير رئيساً لدولة إسرائيل لفترة ثانية، توفى في مستعمرة رحوبوت ١٩٥٢. للمزيد راجع: תלמי אפרים ומנחם:לקסיקון ציוני (ישראל 1977) עמי 139- 140 .

يجلد ..... [1].

رصدت الفقرة التدني الصهيوني المتمثل في:

١- عدم نجاح الصهيونية في التخلص من معاداة السامية بإقامة دولة إسرائيل.

٢- وصف زعماء الصهيونية بالحماقة، وجهلهم بدراسة التاريخ، وفهم مكنونه.

٣- العالم كله يكره دولة إسرائيل، منذ قيامها، وربما لو بقى اليهود مشردين لكان أفضل.

٤- تعرض اليهود للقتل ليس لكونهم أقلية.

٥- حتمية المصير اليهودي باستمرار كراهية العالم لهم.

وبعد رصد الأدب الروائي ملامح وصور شخصيات الشتات اليهودي، من حيث المظهر، وكذا المشاعر الداخلية، وشمل الرصد كل ألوان الشخصيات، ونماذجها المختلفة، على كل المستويات، نجد هنا الوصف العام للشعب اليهودي الذي يشمل الشتات وغيره، وذلك في رواية «فويجلمان» لأهارون ميجد»:

«لا يوجد شعب يتمسك بذكرى الدمار والكوارث في تاريخه، ويحتفل بها بالصوم، وإحياء الذكرى بالاحتفالات، وألف لها المراثي، والصلوات، والأشعار الدينية، وحدد لها المراسم والطقوس للذكرى والرثاء، مثل الشعب اليهودي، حتى أنه في كل يوم عيد وشكر، يوجد تذكر لخراب[2].

وإذا كان «ميجد» قد حكم على الشعب اليهودي بحكم عام، ووصفه بأنه شعب مأساوي حتى في أحسن أيامه وأعياده، حيث يخلط ذكريات الدمار والخراب مع مناسباته السعيدة، فإن الكاتب «أهارون أبيلفيلد» قد وصف اليهود عامة بالتشوش، وذلك في رواية «حفرة الثلج»:

«لقد تشوشت الأحاسيس والمشاعر عند اليهود، من هنا التفلسف، والتلاعب،

(١)מגד אהרון : שם עמי 252.

(٢)מגד אהרון : פוגלמן שם עמי 83.

بالألفاظ، والتظاهر للضرورة، وبدون ضرورة. ربما لم ير «شجال» نقاءً أمامه، فرسومه نموذج للوجدان اليهودي، وقالبهم تضاءل كخيوط العنكبوت. وكان «برونو» في حياته خائفاً، ويغلف، الآن، أقواله بلطف، وبشيء من السخرية، وقد توجه إليه أحد الأشخاص، وسأله في تحفظ: هل كل شيء تغير في العالم؟ الآن لا يوجد يهود، ولا يوجد فنانون يهود، لماذا الغضب، ولماذا إزعاج راحة الموتى[1].

إنه حكم عام بتشوش مشاعر وأحاسيس اليهود عامة، وبأنه لا يوجد نقاء في وجدانهم. ولكن حشد اليهود بإحياء ذكرى النازية وويلاتها، له أغراضه السياسية والمادية في الشتات وإسرائيل.

المبحث الثاني: تقدير الشتات اليهودي في الرواية العبرية المعاصرة

يتناول هذا المبحث الوجه الآخر من العملة الخاصة بموقف الأدب العبري المعاصر من الشتات اليهودي. فبعد أن تناولنا في المبحث السابق، كيف أن نماذج من هذا الأدب كشفت عن موقف الرفض، أو عدم التقدير لهذا الشتات، سوف نتعرض في هذا المبحث للوجه الآخر، وهو كيف نظر الأدب العبري المعاصر نظرة تقدير لهذا الشتات، في نفس الوقت، وما هي أسباب ذلك.

وفي البداية، يجب أن نذكر، أننا تناولنا في الفصول الأولى من البحث، كيف أن الشتات اليهودي ظل ظاهرة تاريخية ملازمة للوجود اليهودي، منذ أقدم العصور، بالرغم من أن فلسطين كانت مفتوحة، دائماً، أمامهم، وكيف أن الفكر الديني اليهودي، هو الآخر، تمخض عن صك لعهود ثلاثة تعطي مشروعية لوجود اليهود خارج فلسطين، بل أنهم كانوا يفضلون الاضطهاد خارج فلسطين على يد سلطة أجنبية، من أن تحكمهم سلطة يهودية داخل فلسطين، سواء كان ذلك انتظاراً لمجيء المسيح المخلص لدى المتدينين منهم، أو لاستقرار الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لدى الغالبية العظمى من اليهود.

وليس أدل على الدور الإيجابي والحيوي الذي قد أنتجوه فيه: العهد القديم الذي

(١)אפלפלד אהרון : מכרה הכרח שם עמ 144-143.

دون خارج فلسطين، والتلمود البابلي الذي كتبه أحبار اليهود في بابل، والترجمة السبعينية في الإسكندرية، وأدب العصر الوسيط في أسبانيا، وفي مصر، وأدب التنوير اليهودي في القرن التاسع عشر، وسعيها نحو جلب يهود الشتات لفلسطين، و«رفض المنفى» غير الصورة.

إن النشاط الصهيوني نقل اهتماماته، خلال الربع الأول من هذا القرن، من الاهتمام باحتياجات الشعب اليهودي في الشتات، إلى الاهتمام ببناء قاعدة للقوة في أرض إسرائيل، والآن، فإن النظام الإسرائيلي الصهيوني المسيطر يستغل هذا الشتات لخدمة احتياجات إسرائيل. وبالإضافة إلى ذلك فإن صفة إسرائيل هي صفة مجردة، ويستغل الشتات اليهودي، ودولة إسرائيل ذاتها لخدمة مصالح النظام المسيطر في إسرائيل الذي يجعل نفسه صنواً للدولة[١].

وكان هناك مبدأ يعرف في الكتابات اليهودية السياسية بـ Doikeyt، وهو مصطلح باليديش، ترجمته الحرفية (هنا)، فلسطين، أو أي مكان آخر يتم تجهيزه سبيلاً لإقامة اليهود في أراضي الشتات، الأمر الذي تدعو إليه الصهيونية وأشكال أخرى من القومية الإقليمية اليهودية. وبالنسبة لتلك النوعية من المنظمات فقد كانت تؤمن بمبدأ (هنا) ولم يكن يعني هذا العداء الحتمي للهجير حين تدعو الضرورة، ولكنه كان يعني الارتباط القوي لليهود بالأرض التي أقاموا فيها لمدة طويلة، مع اعتراض قوى على فكرة وجوب أن ينشئ اليهود وحدة إقليمية مستقلة في أي مكان آخر في العالم[٢].

ولقد أرادت معظم هذه المنظمات اليهودية أن تؤكد على الجذور العميقة لليهود في «أراضيهم الوطنية»، وعن مساهماتهم الجبارة في ثقافتها، وتطورها، ونموها الاقتصادي، ويعطي مثالاً على ذلك المكتشفين اليهود الألمان الذين ساعدوا في اكتشاف أفريقيا. يقول أحد اليهود الألمان: «إن قبول أجدادي في الأراضي الألمانية، ولآلاف السنين يعمل اليهود، وعاشوا في ألمانيا، ولسان أمي ألماني، وأنا لا استطيع التحدث بغيرها،

(١) بوعز، عفرون: المرجع السابق، ص ٦٢٣ – ٦٢٤.

(٢) mendelsohn,ezra:on modem jewish politics, oxford university press,(new york, 1993),p 10.

والعبرية بالنسبة لي لغة الصلاة، مثلها مثل اللاتينية بالنسبة للكاثوليك، وعضو مجرى يهودي في البرلمان المجري تفاخر عام ١٩٢٠م، بأن اليهود كانوا موجودين منذ بدء تكوين الدولة المجرية الأولى، في القرن العاشر[١].

ولم يؤد نقل الاهتمام من الشتات إلى إسرائيل إلى الانفصال عن هذا الشتات، فلم يتنازل أي نظام سلطوي، وبرغبته الخالصة، عن أي جزء من سيطرته، وقد اصطدمت سيطرة الجهاز الإسرائيلي على أجزاء كبيرة من الشتات اليهودي، وهي الخطوة التي تدعم، أيضاً، من سيطرته على الجمهور الإسرائيلي عن طريق الموارد المالية التي يضعها الشتات تحت تصرف المؤسسة الحاكمة – اصطدمت هذه السيطرة، وسريعاً بحقيقة أن تكون الوعي القومي المنفصل في إسرائيل، وتطور الطابع القومين وغير الديني، والمستقل الخاص بالجمهور الإسرائيلي، بغرض سيطرة الجهاز على الشتات للخطر، ومن هنا، أيضاً، تتعرض سيطرته في إسرائيل للخطر، أيضاً[٢].

وفي البداية، كان الصهيونيون متشائمين بخصوص الوضع في الشتات، فبينما هم يعرفون أنه لن يمكن أن ينتقل كافة اليهود من شتاتهم إلى فلسطين، إلا أنهم يرون في وجود دولة قومية لليهود السبيل الوحيد لإنقاذ ما سيتبقى منهم في الشتات، بحيث تصبح الدولة القومية مغناطيساً جاذباً لأفضل العناصر من أبنائها اليهود، وتؤمن في الوقت نفسه ظهور الباقين في الشتات ضد المذابح والانتهاكات. أما قوميو الشتات فحتى في أحلك أوقات اليهود، مثل أواخر الثلاثينات، كانوا متفائلين بخصوص مستقبل يهود الشتات، ويرون أن إمكانية تعايش اليهود مع غير اليهود في ظل دولة ديمقراطية متعددة القوميات، شيء محتمل الحدوث[٣].

ولكن الشتات اليهودي الأمريكي له طابع خاص، سواء في التمسك بالطابع الأمريكي من حيث الهوية والمكان، وفي العلاقة الخاصة مع الصهيونية. في عام ١٨٨٨م أعلن «سيمون وولف»، رئيس منظمة أخوة الجنود الأمريكيين اليهود «بني بريت»،

---

(١) Ibid, P.10

(٢) بوعز، عفرون: المرجع السابق، ص ٦٢٤.

(٣) Mendelsohn, Ezra, Op. Cit., P.6.

والتي أنشأت عام ١٨٤٣م، أن الولايات المتحدة الأمريكية هي وطننا، فلسطيننا، وليس لدينا طموح غير أن نبني حياة من الرخاء في هذا البلد التي تبنانا، هذه البلد التي أسهمنا بنصيبنا في نموه المادي، والاجتماعي، والفكري[١].

في قاعة الحفلات الموسيقية لجماعة الشباب العبري في «نيويورك سيتي»، توجد أسماء «جورج واشنطن»، و«توماس جيفرسون»، جنباً إلى جنب مع أسماء أشعيا وموسى. وفي عام ١٩٥٤م عندما احتفل الشعب اليهودي، بمرور ثلاثمائة عام، على الإقامة المتيسرة السلمية نسبياً في الولايات المتحدة الأمريكية، تم إصدار شعار يجمع بين الرموز اليهودية والأمريكية، في شكل متناغم متناسق، وفي هذا الشعار تم اختياره بواسطة لجنة الذكرى المئوية اليهودية الأمريكية، عام ١٩٥٣م، تم وضع ثمانية نجوم أمريكية (وليست يهودية)، فوق الشمعدان اليهودي (ميزوزاه) أشهر رموز الديانة اليهودية، ولم يتم استخدام أية حروف عبرية[٢].

وعلى هذا النحو تعد إسرائيل ويهود الشتات، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، بمثابة شطر أمريكي الهوية والثقافة، علاوة على ذلك فقد وعد «هيرتزل» بأن تكون اليهودية لصالح أوروبا، وممثلة للحضارة الأوربية في الشرق الأوسط، حيث سيكون اليهود في إسرائيل جزءاً من السد الأوربي في وجه آسيا، ومركزاً للمدنية ضد (البربرية)، أي بمثابة معرض قائم دائم لخدمة المصالح الأوربية[٣].

وقد خاطب ليفي أشكول، (رئيس وزراء إسرائيل الأسبق)، أعضاء المجلس الصهيوني العام الذي انعقد في القدس، في مارس عام ١٩٦٤م، فقال: «ينبغي علينا من الآن أن نرسم الخطط للمليون الرابع والخامس. من أين ومتى يأتون، وماذا سيكون مصير الشعب اليهودي في الشتات؟ ولكي تتمكن إسرائيل من الاستمرار في تأدية رسالتها يجب أن يكون هناك توسع دائم في سكانها، غير أن المسألة ليست مجرد إيجاد ثلاثة ملايين أو حتى خمس ملايين يهودي في الدولة. فمهمتنا لا تنتهي عند هذا الحد،

---

(١) Ibid, P.6

(٢) Ibid, P.6

(٣) الحلو، أنجلينا: عوامل تكوين إسرائيل، منشورات منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث (بيروت ١٩٨٧م)، ص٢١

وهذه ليست نهاية الرؤية الصهيونية. إن رسالتنا التاريخية تتحقق بالوجود والقوة، وهكذا تغدو مسألة تحقيق الرسالة الصهيونية، وتأديتها مشروطة بـ «الوجود والقوة»، أي الاستيطان والقوة العسكرية، وهما اللذان يعتمدان بدورهما على معدل الهجرة[1].

«إن المهمة القومية التي تضطلع بها دولة إسرائيل، ألا وهي جمع شتات الجاليات اليهودية المبعثرة في العالم، وتهجيرها إلى إسرائيل، تستدعي هجرة متصلة تستمر على الأقل لمدة جيل واحد (٣٠ سنة)، وعلى الدولة الإسرائيلية أن تؤمن الأحوال الطبيعية لحياة هؤلاء السكان المهاجرين... ولذا فإن مهمتنا هي احتلال الأراضي العربية، وتوطيد سيطرتنا عليها، ووضع ثروتها المادية في خدمة اليهود في إسرائيل»[2].

وعلى الرغم من استمرار تمسك الحركة الصهيونية بالمبدأ الرئيسي والتنفيذي لأيديولوجياتها، المتمثل في الهجرة من الشتات لإسرائيل، فإن هناك في نفس الوقت مجهوداً ودعوة مستمرة في الشتات الأمريكي بالذات للتوحد مع المجتمع الأمريكي كيهود، وليس الذوبان التام. وتلك أيديولوجية ترمي إلى ازدواجية المكاسب بالاستفادة من الدعم الأمريكي لإسرائيل، وفي الوقت نفسه، تنامي وزيادة قوة وتأثير الشتات اليهودي الأمريكي.

وقد أبدى «سيروس إدلر»، رئيس اللجنة الأمريكية اليهودية، في عام ١٩٩٢م، ملحوظة، قائلاً: «هناك معلومة تقول بأن هناك أكثر من ٩٦٠ ألف شخصي في نيويورك سيتي يستخدمون «اليديش»، بصفتها لغتهم الأم، وكان هذا سبباً وجيهاً بالنسبة «لأدلر» لكي يفسر لماذا كان الأمريكيون يسأمون القادمين الجدد الرافضين للذوبان في المجتمع الأمريكي، الأمر الذي يدفعهم إلى الانقلاب ضد الهجرة المفتوحة على مصراعيها. وهكذا فإنه إذا كان يمكن للجيل القديم من الأوربيين المولد الاستمرار في قراءة الجرائد باليديش والتحدث بها كلغة أم، فإن على الجيل الجديد أن يتأمرك، ويظهر ذلك في لوحة «رفائيل سوبار»، «درس الرقص»، يحاول أن يظهر في لوحته تلك عملية تكيف اليهود في العالم الجديد – تلك العملية المتعذرة القاسية – فنجد في اللوحة صورة معلقة

(١) المرجع السابق، ص ٣٥.

(٢) الحفني، عبد المنعم (دكتور): عالم بلا يهود، دار الرشاد، (القاهرة ١٩٩٢)، ص ٩٢ – ٩٣.

على الحائط للجد والجدة، وهم اليهود الروس عتيقو الطراز، أما الأباء الذين جاءوا إلى الولايات المتحدة وهم بالغون، يبدون مندهشين، وهم ينظرون إلى الأبناء، وهم يحاولون تعلم الرقص الغربي»[1].

ومما يزيد عملية التوحد اليهودي مع المجتمع الأمريكي، الحاجة الملحة للغة مشتركة، وهي اللغة الإنجليزية، ناهيك عن اليديش والعبرية، «فإذا سلمنا بأن اليهود ليسوا قبيلة ولاعرق، وأنهم دين عالمي له رسالة يعلمها للبشر، »فأي لغة ينبغي أن يتحدثها اليهود؟واضح أنها ليست العبرية، فعلى الرغم من اعتراف اليهود لها بالتقدير الذي تتمتع بها لكونها لغة (الكتاب المقدس)، ولغة الصلاة والدراسة، فهي لا تصلح، نظراً لأنها ظلت لمدة تتجاوز الألف عام غير مستخدمة بالنسبة للملايين من يهود شرق أوروبا ولغيرهم من يهود الشتات. وبينما كانت هذه هي النظرة إلى العبرية، فإن اليديش كان ينظر إليها كمصدر للإحراج، وهدف للسخرية والاستهزاء، فلقد نظر إليها الكثير من اليهود كلغة غير مناسبة، هذا إذا اعتبرت لغة في الأساس»[2].

ومن هنا يبدو الاتجاه لتقدير الشتات، وتبني لغة دولة الشتات، وبشكل خاص الإنجليزية في الشتات المهم بالنسبة لليهود في الولايات المتحدة الأمريكية.

يعالج الأدب الروائي الإسرائيلي المعاصر قضية تقدير الشتات اليهودي، من خلال الشخصيات التي تتبنى الدفاع عن الشتات، من حيث البيئة والثقافة، وما يتفرع عنها من ظروف حياتية معيشية، ومستويات ثقافية تستحق القبول والفخر بها.

ويتعدى ذلك القبول، والفخر، والتباهي إلى مرحلة الاعتماد على الشتات اليهودي في دعم دولة إسرائيل، سواء بالتأييد بالانحياز لها، والدفاع عنها في محافل الشتات، أو بالدعم المباشر أو المساندة لها في حروبها ونزاعاتها مع جيرانها العرب، من خلال أيديولوجيات مفادها الخوف على إسرائيل من الدمار والزوال.

ويعرض «سامي ميخائيل» في رواية «فكتوريا» تقدير الشتات اليهودي الشرقي في الحد الأدنى من صور التقدير والمتمثل في التباهي والفخر بدور الطائفة اليهودية

(١) Mendelshon, Ezra: Op. Cit., P.9

(٢) .Ibid, P.7

العراقية في ازدهار الثقافة العربية هناك.

«بغداد باقية على حالها منذ أكثر من ألف عام. المدينة الكبيرة التي تطورت من قرية نائية على حافة المملكة الساسانية.

تكن «فكتوريا» حباً كبيراً لآبائها، فقد ساهم أطباء، وعلماء، ومفكرون، وساسة، وأدباء يهود ساهموا بنصيب كبير وممتاز في تشكيل الثقافة العربية التي ازدهرت هناك[1].

ومن تقدير الشتات اليهودي الشرقي إلى تقدير الشتات اليهودي الغربي من خلال رواية «فويجلمان»، «لأهارون ميجد»، والمتمثل في الفخر بمستوى الثقافة هناك (وارسو) بالمقارنة بالأدب والثقافة في إسرائيل، التي لا يمكن أن تصل لهذا المستوى الشتاتي أبداً.

يوجد أدب عبري في إسرائيل، أنا أعلم، أيضاً، أتذكر قليلاً من القراءة، يوجد عندكم معاهد ومقاهي يلتقي بها الأدباء، ولكن ما كان في «وارسو» قبل الحرب لا يوجد في إسرائيل، ولن يوجد، وحكى عن «تلومتسكا١٣» البيت الذي ضج بالحياة على مدى أكثر من عشرين عاماً، حيث كان الأدباء والصحفيون يلتقون فيه، طوال اليوم، وحتى ساعة متأخرة من الليل، ومن يأتي من خارج المدينة وليس له مكان للإقامة، كان يقيم به[2].

ومن تقدير ثقافة وأدب الشتات، إلى تقدير إحدى الشخصيات في الشتات اليهودي العربي، فكما حرص الأدب الروائي على تصوير سلبية شخصيات الشتات اليهودي الغربي، وخاصة في معسكرات العمل النازية على الغالبية منهم، وخاصة أمام النازية، حرص، أيضاً، على تصوير الحالات الفردية الإيجابية، ومن الطبيعي أن يكون لكل قاعدة شواذ؟

وها هو «فاول» إحدى شخصيات رواية «حفرة الثلج» «لأبيلفيلد»:-

«فاول هو مفسر أحلامنا، أيضاً، الذي كان يحاول، طيلة الوقت، أن يعلمنا السكينة

(١)סמי מיכאל: שם עמ' 59.

(٢)מגד אהרון: שם עמ' 253-252.

والهدوء الداخلي. وقد مات، منذ شهر. إنه يحاول، الآن، أن يعلمنا أسراره، ها هو يمسك بذراع أحد الرجال، ويقول: حسب قوتك، أنت متوتر، قلق، غاضب، تلك المشاعر لا تعطي للجسم صحة. أرح جسدك، و تزوده بأفكار حزينة. لا تخف من الضربات، فكل ما تخافه يزيد كثيراً من قلقك. الجوع لا يقتلك، ولكن تقتلك المخاوف. انفض المخاوف من رأسك لتستجيب للحكم الأخير لنهاية الشخص، ومن حياتك.

إن «فاول» لم يخش الموت، بل تجاهله بكل ما في العبارة من معنى.

في الواقع كان الرقيب مبتعداً عنا، كان يمدد جسده على الأرض، وينام، كانت قوته أن يأخذ غفوة من النوم، طالما كان ذلك متاحاً بالمكان الذي يعرفه هو وحده. في مساء أحد الأيام، انقض عليه أحد الرقباء، وجلده بالسوط، وحيث إنه لم يصرخ، ولم يستعطفه، لم يخف عنه.

كنا واثقين أنه لن يبق على قيد الحياة بعد هذا. ولكن «فاول» في مفاجأة لنا، وقف ماشياً على قدميه، وحاولنا أن نجفف له الدم الذي سال على ظهره، ولكنه رفض، لأنه كان لديه اعتقاد أن الجسم يعرف كيف يحمي نفسه، ولا داعي للتدخل. وحدث ما يشبه ذلك، غير مرة، وفي كل مرة كان يثبت لنا أنه أقوى من الإرهابيين، حيث إنه مخلوق من دم ولحم بخلافهم. وعلى هذا لن يخضع لهم، وعلى ما يبدو، خاف الرقباء من أنه متسلط عليهم، ومتغطرس، ومن هنا، عاملوه بقسوة شديدة[1].

جاء التقدير في تصوير «أبيلفيد» لـ «فاول» وهو شخصية شتاتية يهودية في إحدى معسكرات العمل (على نهر البوج)، بصورة فريدة من الإيجابية والقوة، وأنه يحمل فلسفة الإرادة التي يعيش عليها، وينصح بها الآخرين، وتلك الفلسفة تنص على :-

١- البعد عن التوتر، والقلق، والغضب، فهي التي تدمر الصحة.

٢- راحة الجسد، وإزاحة أفكار الحزن عنه.

٣- عدم الخوف من الضربات؛ لأن الخوف يؤدي للقلق، وهذا مرفوض.

(١)אפלפלד אהרון : שם עמ' 144-145.

٤- المخاوف تؤدي للقتل، وليس للجوع.

٥- التخلي عن المخاوف في الفكر والعقل للإنسان.

٦- فلسفة تجاهل الموت، لا الخوف منه.

٧- الراحة بالمكان الذي يعرفه وأنه أهل لذلك، ويعطيك الراحة المطلوبة.

٨- تقبل الضربات بقوة، دون الاستحسان.

٩- فلسفة كون الجسد يملك دفاعاً داخلياً لعلاجه.

١٠-عدم الخضوع للجلادين؛ لأنه أقوى منهم في تكوينه الجسدي.

لقد كانت تلك حالة فردية من الإيجابية في إحدى المعسكرات النازية، أراد «أبيلفيلد» أن يؤكد عليها في رواية «حفرة الثلج»، فهو يرى تلك الصور وأمثالها وقعت بالفعل هناك، فهو شخصياً، يقول:

«إن ما يغضبني هو الأمور التي تميز أحداث النازية كبشاعة ينقصها التوضيح، حيث يقتل الرجل دون تمييز، ودون أن يفعلوا شيء ... ونسوا أنه كانت هناك ملامح إنسانية كبيرة في أحداث النازية، فلولا المساعدة المتبادلة ما كان قد خرج أحد من هناك»[1].

ومن تقدير الشتات اليهودي الشرقي والغربي في الحد الأدنى منه إلى التقدير في قمته المتمثل في دعم الشتات لإسرائيل، وحمايتها، والدفاع عنها.

وبطبيعة الحال فإن هذا الدعم قادم من الشتات الغربي حيث يصوره «ميجد» في رواية «فويجلمان».

«رؤية مخيفة لمشهد يوم القيامة، تعبر عن تصوره: الدول الإسلامية المنتشرة على وجه الأرض، يشكل مواطنوها مئات الملايين، وإن ثرائهم ليس له حدود، يسيرون نحو التعاظم. ولا يوجد شيء يعرقل هذا التعاظم – تربض جيوشهم على الحدود الإسرائيلية، إن لم يكن في غضون خمس سنوات، أو عشر سنوات، أو في غضون خمس عشرة سنة، يهاجمونها (إسرائيل) من كل صوب، من البر، ومن البحر، والجو، وحلفاؤها

(١)בסר יעקב: שם עמ' 144-145.

صامتون حيث يرون أنها تتماسك بنفسها، ولا يوجد أي توقع أن تتغلب على أعدائها الأقوياء، مهملين إياها، يقفون بعيداً، كما كانت وقفتهم بعيداً عندما أباد الألمان يهود أوروبا. والمعتدون الذين ينفذون مذابح مروعة ضد يهود إسرائيل، قتل النفس، والرب ينظر من أعلى، وهو صامت كما صمت من قبل.

ومن قلب هذا الظلام الدامس، يشع ضوء خادع في الصفحات الأخيرة من الكراسة[1].

مفهوم الإنقاذ المتطرف لدى «فويجلمان» :-

«أمام كل قوى الشر في العالم – ما هو المتاح لنا أن نفعله؟ بأي شيء نصمد؟ قوة واحدة ووحيدة عندنا: «قوة العقل اليهودي».

إذا ما تذرع علينا الأغراب ببروتوكولات حكماء صهيون، وأننا عاقدو العزم على السيطرة على العالم، نعكس نزعة تلك العقدة لواقع، نقيم حلف الأسرار العالمي اليهودي، هذا العقد الموزع بين مائة دولة، حيث إن قوته (العقل اليهودي) أفرزت كل الاختراعات الكبيرة في الطب، والتكنولوجيا، ووسائل القتال، والاقتصاد، والساسة، ذلك العقل من الواجب أن يتوحد، ويجند لإنقاذ الشعب اليهودي[2].

رسم الكتاب صورة كاملة الملامح لوجهة النظر المتطرفة ليهود الشتات الغربي، وتصورهم للوضع الحالي لدولة إسرائيل، بحجمها الصغير، وتعدادها القليل، بين الدول العربية والإسلامية الكبيرة، حيث تعد قطرة بالنسبة لهم بمقاييس الحجم، وتعد فقيرة اقتصادياً، بالقياس إلى اقتصاد الدول العربية والإسلامية.

وفي جانب من الصورة يبدو الهلع اليهودي الشتاتي في الغرب من تعاظم قوة العرب والمسلمين اقتصادياً، ويصفه بأنه (ثراء ليس له حدود)، وبعد الوصف بعدم محدودية هذا الثراء الذي يأخذ طريقه للتعاظم تبدو النظرة الهدامة من خلال القول: «لا يوجد شيء يعرقل هذا التعاظم».

(١)מגד אהרון: שם עמ' 252-253.

(٢)מגד אהרון: פוגלמן שם עמ' 253.

بمعنى أن هناك تفكيراً جاداً لاستخدام وسيلة أو أخرى لعرقلة هذا التعاظم.

ويتعدى الهلع اليهودي من التعاظم الاقتصادي إلى التعاظم العسكري لجيوش البلاد العربية المجاورة المحيطة بإسرائيل، من كل جانب، وخشية توحد هذه الجيوش وانقضاضها عليها، وضربها ضربة رجل واحد، سواء من البر، أو البحر، أو الجو.

وهناك سبب آخر للهلع الشتاتي على مصير إسرائيل، والخوف على وجودها، وهو توقع وقوف الدول الغربية الحليفة لها موقف الصمت، في حال تعرضها للخطر للقناعة بهزيمتها، وإرجاع تلك الحالة المتوقعة إلى حالة شبيهة عندما تعرض اليهود لخطر الإبادة النازية، ووقف الغرب صامتاً، ولم يفعل شيئاً. ويزداد الهلع مع استمرار سماعهم عن المذابح والقتل لليهود في إسرائيل.

ويصل الهلع اليهودي في الشتات الغربي ذروته في التشكيك في موقف ربهم، وأنه سيصمت، أيضاً، حيال دمارهم من قبل الدول العربية، كما حدث، وأن صمت عند أحداث النازية وإبادة اليهود هناك.

ومن هنا، يجسد الأدب الروائي، الأيديولوجيات الصهيونية التي تجعل من أحداث النازية نقطة انطلاق لنازيتها ضد العرب، بدعوى خشية الدمار والزوال بالنسبة لدولتهم، مع الأخذ في الاعتبار أن يكون ذلك في ذاكرة كل يهودي شتاتي في إسرائيل، وبالتالي كل يهودي في إسرائيل، وهو يمارس الإرهاب.

وتلك أيديولوجية صهيونية تروج لها بين يهود الغرب بغرض ابتزاز الدعم اليهودي من الشتات، والدعم المادي والتعويضات من دول الغرب، وإيجاد الذريعة لأعمال إسرائيل الوحشية ضد العرب، وتبرير امتلاكها للقوة، وخاصة الأسلحة النووية.

وبعد وصف إسرائيل بأنها دولة صغيرة، ومحاصرة بين شعوب قوية وغنية، ربما تفتك بها، وتعرضها للزوال، وخاصة مع فقد الثقة في حلفائها، وحتى في ربهم، أيضاً، في مساعدتهم، وخاصة مع استمرار تعرضهم للقتل في إسرائيل، وبعد هذا كله، يقدم الشتات الغربي الحل النهائي حسب تصوره، وهو تسخير «قوة العقل اليهودي» لخدمة إسرائيل بخطة واضحة ومحددة (لما أسماه) إنقاذ الشعب اليهودي في توحيد الفكر والعقل اليهودي المبعثر في دول الشتات، في شتى أنحاء العالم، واستغلال إمكاناته

الهائلة في الطب، والتكنولوجيا، ووسائل القتال، والاقتصاد، والسياسة، لتنفيذ هذا الإنقاذ المطلوب لإسرائيل.

وإذا كان توحيد وتجميع العقول اليهودية المنتشرة في شتى أنحاء العالم من أجل دعم وخدمة وجود إسرائيل، فإن تسخير وسائل الصهيونية (بروتوكولات حكماء صهيون) لهذا الغرض، يأتي منطقياً من حيث استخدام تلك العقول لتنفيذ تلك الأيديولوجية الهدامة للسيطرة على العالم كله، بنشر وسائل الهدم والتدمير، وبقاء إسرائيل، وكافة اليهود في مأمن، وفي مواقع الصدارة والسيطرة.

وقد جاء في المادة الخامسة من تلك البروتوكولات، «إن التشتت الذي أصاب اليهود، «الشعب المختار»، في كل أقطار العالم، ليس كما يبدو مصدر ضعفهم، وإنما هو في الواقع مصدر قوة لهم، فإن هذا التشتت في أقطار العالم مع تماسكهم قد جعلهم ذوي نفوذ في كل قطر، إذ يستطيعون من خلال تشتتهم هذا أن يتسللوا إلى كيان الدول لتسخيرها لمصالحهم الذاتية.

وجاء في المادة الثالثة «يتحتم أن يصبح زعماء الأمم جميعاً كقطع الشطرنج في أيدينا، نستميلهم ونغريهم من طرق شتى، أهمها الرشوة، والنساء، كما أن منها العنف والإرهاب، بل والقتل في الخفاء، إذا لم تنجح وسلة غيره يتحتم أن تعامل أفراد الأمم جميعاً بالحيلة تارة، وبالعنف تارة أخرى، بأن تساس كما تساس قطعان الماشية»[1].

وجاء في القرار العاشر «لابد أن يستمر في كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات، فتستمر بذلك العداوات، والحروب، والموت، هذا مع الجوع، والفقر، ومع تفشي الأمراض»، «ولابد أن يمتد كل هذا إلى حد ألا يرى الأمميون أي مخرج لهم من متاعبهم، غير أن يلجأوا إلى الاحتماء بأموالنا، وبأموالنا ستمتد سلطتنا الكاملة.

وجاء في القرار الحادي عشر «أن الأمميين كقطيع الغنم، وأننا الذئاب. هل تعلموا ماذا تفعل الذئاب بالغنم؟ إذن ادفعوهم إلى هذا المصير .. لقد شتتنا إلهنا في أرجاء الأرض لنفعل ذلك، وهذا هو السر وراء هذا التشتت الذي حل بنا، فإن من رحمة «يهوه»

(١) السقاف، ابكار: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، مكتبة مدبولي، ط٢، (القاهرة ١٩٩٧)، ص ٣١٠.

أن «شعبه المختار» قد شتت؛ لأن هذا التشتيت الذي يبدو ضعفاً مشيناً أمام العالم، قد ثبت أنه كل قوتنا، التي إذا ما طبقناها على هذا المثال، وصلنا حتماً إلى أعتاب السلطة العالمية»[1].

«ويمكننا الآن أن نعرض للأفكار الأساسية في البروتوكولات، التي تؤكد أن السياسة لا تخضع للأخلاق، وأن اليهود سينفذون مخططهم الإرهابي عن طريق الغش والخداع، فعلى مستوى المجتمع سيقومون بتقويض دعائم الأسرة، وصلات القرابة، وإشاعة الإباحية، واستغلال الحريات العامة، وتخريب المؤسسات المسيحية، وإفساد أخلاق العالم المسيحي الأوروبي. أما على مستوى الدولة، فإنهم سيسعون إلى تقويض كيان الدول، عن طريق الإيقاع بينها، بحيث تندلع الحروب، على ألا تؤدي هذه الحروب إلى تعديلات في حدود الدول، أو إلى مكاسب إقليمية، ليتمكن رأس المال فحسب، من الخروج بالغنائم. وينبغي التركيز على المنافسة في المجتمع، وعلى تصعيد الصراع الطبقي، ليجري الجميع نحو الذهاب الذي لابد أن اليهود سيحتكرونه، وتصاب المؤسسات الدينية والسياسية بالاهتزاز، ويسود رأس المال كل شيء. وتهتم البروتوكولات في المراحل الأولى من المخطط بأن يسيطر اليهود على الصحافة، ودور النشر، وسائر وسائل الإعلام، وحتى لا يتسرب إلى الرأي العام العالمي إلا ما يريدونه. كما أنها ترى ضرورة أن يسيطر اليهود على الدور الاستعمارية، وأن يسخرها حسب أهوائهم»[2].

وعلى مدى صفحات الروايات (محل البحث والدراسة)، كان أسلوب الخطاب بين الشتات وإسرائيل، يتم بصيغة التباعد بين الطرفين بمعنى هنا وهناك، ونحن وأنتم، فعلى سبيل المثال:

(انتم متحدثو العبرية، ونحن متحدثو اليديش، وهنا الخطاب بصيغة الجمع بين إسرائيل والشتات (رواية فويجلمان ص ١٩)، (الحاخام شحيتان عندنا (الشتات) رواية «حفرة الثلج» ص ١٢٣)، (وهنا (إسرائيل) فويجلمان ص ١٥)، (يوجد عندكم معاهد

(١)المرجع السابق، ص ٣٣٢.

(٢)المسيري، عبد الوهاب (دكتور): موسوعة اليهود واليهودية، المرجع السابق، ج٢، ص ٣٧٢.

(إسرائيل) رواية «فويجلمان» ص١١٤)، (كالأغنام (يهود الشتات) رواية «حفرة الثلج» ص ١٦٤)، (تم سوقهم (يهود الشتات) رواية «حفرة الثلج» ص ١٦٥)، (خطؤكم (إسرائيل) رواية «فويجلمان» ص ١٦) وهكذا ...

ولكن في هذه الفقرة التي عبرت عن مدى التقدير للشتات بالتلاحم مع إسرائيل، بغرض دعمها والدفاع عنها، ومن هنا، كان التوحد لهذا الغرض، وجاء أسلوب الخطاب بصيغة الجمع.

ما هو المتاح لنا ...؟

بأي شيء نصمد ...؟

قوة واحدة، ووحيدة عندنا ...

أننا عاقدو العزم ...

نعكس نزعة تلك العقدة ...

نقيم حلف الأسرار ...

تم من خلال أسلوب الجمع السابق السؤال، والإجابة، والتصور، ورد الفعل.

أ- السؤال: ما هو المتاح لنا؟ بأي شي نصمد؟
ب- الجواب: قوة واحدة، ووحيدة عندنا ..
ج- التصور: إذا ما تزرع علينا الأغراب ... بأننا عاقدو العزم ..
د- رد الفعل: نعكس نزعة تلك العقدة لحقيقة نقيم حلف الأسرار ..

ورد في الفقرة ثلاثة أرقام لها مدلولها ومغزاها في التعبير عن الهلع اليهودي في الشتات، خوفاً على مستقبل إسرائيل.

- خمس سنوات.
- عشر سنوات.
- خمس عشرة سنة.

تعد رواية «فويجلمان» من الروايات المهمة التي صدرت، بعد حرب السادس من

أكتوبر ١٩٧٣م، وعبرت عنها في ثنايا أحداثها.

ومن أهم الأسباب التي أقلقت الشتات اليهودي الغربي على مصير إسرائيل نتائج تلك الحرب، التي كان النصر فيها لمصر والعرب جميعاً، خاصة أن هذا النصر كان نتاج توحد العرب ضد إسرائيل، قلباً وقالباً، وجاء في الفقرة أن هذا التوحد هو مصدر الخوف على إسرائيل، خشية تكراره مرة أخرى، وخاصة القرارات البترولية التي أزعجت الشتات اليهودي الغربي، بل والغرب كله.

ويبدو أن الكاتب قد استوعب درس، السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، جيداً، فقد جاءت بعد حرب ١٩٦٧م، بست سنوات تقريباً، وهو يعلم جيداً أن البلدان العربية تضع دائماً خططاً مستقبلية في الغالب خماسية للتطوير، وزيادة القوة العسكرية، فربما تصل القوة بعد خطة، أو اثنين، أو ثلاثة، للاستعداد التام، وتنقض تلك الدول على إسرائيل.

ويترجم الشتات الغربي حرصه على وجود إسرائيل بالدعم المتمثل في خطط وبرامج مختلفة، يتم تنفيذها لأداء هذا الغرض (رواية فويجلمان):

«وبعد أن ذكر أسماء عشرات من العلماء اليهود الذين فازوا بجائزة نوبل في الفيزياء، والكيمياء، والبيولوجيا، وفي الطب، وغيرها – أسماء على ما يبدو حصل عليها من دائرة المعارف – ذكر أن حوالي ٢٠٪ من مجموع الفائزين بتلك الجوائز، على مدى سنوات، كانوا يهوداً – ولولا خشية مانحيها من أن يعتبروا من محبي السامية بأمر مبالغ فيه، لكان الحجم الحقيقي، يصل إلى ٦٠٪ أو ٧٠٪ – سجل بحروف كبيرة وسط الصفحة شعار بصيغة كلمة السر التي رفعت في مظاهرات الأحزاب اليهودية ببولندا».

(يعيش العقل اليهودي العالمي)، «تحت هذا العنوان تفصيل أهدافه، وكيفية مزاولة نشاطه الدولي (العالمي): مثل إعداد ميثاق الأسرار، ويكون له قيادة تفرض طابعها على كل أعضائها، حيث هم هناك يسيطر عليه مغزى خطير، تستطيع عالمية العقل اليهودي أن تعوق، أو تفشل تطوير وصنع وسائل الحربن التي تشكل خطر على سلامة إسرائيل، تستطيع أن تفرض عقوبات على دولة معادية بواسطة تخريب وشل معاهد العلم. وفي مقابل هذا تستطيع إحلال وتطوير وسائل حرب سرية تستخدم للدفاع عن إسرائيل،

دفاعاً عنها وحدها[1].

تشتمل الفقرة على أعلى درجات التقدير للشتات اليهودي، حيث تمجيد قوة العقل اليهودي العالمي، المتمثل في الأعداد الكبيرة من اليهود، والذين حصلوا على جائزة نوبل، وبالتالي الاعتماد على تلك العقول كقوة عالمية يمكن تسخيرها لدعم إسرائيل، مع تنظيم تلك العقول في مواطن شتاتها، أو أن تعمل وفق برنامج سري له قوته، وله خطورته هناك، من حيث قوة ما يفرزه من أشرار ودمار (على غرار بروتوكولات حكماء صهيون) تجاه الآخرين، وبالذات تجاه من تراهم في مصاف الأعداء لليهود وإسرائيل.

ومن هنا تكون النتيجة هي الدعم المستمر لإسرائيل.

وهذه الأساليب الهدامة تكون أما، سلباً أو إيجاباً، لصالح إسرائيل. فالدعم السلبي يكون بـ:

- إعاقة وإفشال تطوير وصنع وسائل الحرب، التي تمثل خطر على سلامة إسرائيل.
- فرض عقوبات على الدول التي تشكل خطراً على إسرائيل.
- تخريب وهدم معاهد ومعامل التطوير في الدول التي تمثل خطراً على إسرائيل.

أما الدعم الإيجابي فيكون عن طريق:

إحلال وتطوير وسائل حرب سرية مصنوعة خصيصاً للدفاع عن إسرائيل وحدها.

وعلى الرغم من تصوير الكاتب بكل وضوح إمكانات عقول اليهود في شتى أنحاء العالم، في بث شرورها ودمارها وأساليبها الملتوية للسيطرة على العالم، مع تدمير كل ما يمثل خطراً على إسرائيل، فإنه كان واقعياً في عرض أهم وأقوى طبائع اليهود، وهو (تدبير الشرور واختزانها في السر)، وفي الخفاء، فإن ما يعلن يعد جزءاً مما هو مستور، وإن ما يخرج له باق، مستتر سواء، في العقول كأفكار هدامة، أو في الأدراج كخطط معدة للهدم، أو مواد في المخازن تستخرج في حينها، أيضاً، وهذا كله تحت بند (الأسرار اليهودية).

(١) מגד אהרון: שם עמ' 253-254.

وقد تكررت كلمة السر في معناها، في الفقرتين السابقتين، فوردت عبارة «ميثاق الأسرار مرتين، وكذلك كلمة السري، وعبارة (وسائل حرب سرية).

وتبدأ الفقرة التالية بعبارة (السلاح السري)، حيث يعرض الشتات الغربي أعلى، وأعقد، وأقوى وسائل الدفاع عن إسرائيل متمثلة في (أشعة الموت) التي تفوق القنبلة الذرية في قوتها (فويجلمان):

«(السلاح السري) الذي يفوق كل سلاح آخر في العالم، سيكون (أشعة الموت)، ليس قنبلة ذرية، إذ إن قنبلة من هذا النوع موجودة في الغرب والشرق، وقريباً ستكون، أيضاً، في يد دول عربية، وتكفي واحدة منها أن تدمر إسرائيل، وتهلك سكانها، لكن (أشعة الموت) خلال ثوان معدودة، يمكنها أن تدمر بقوتها جيوش كبيرة وعظيمة».

فعندما تتجمع جيوش الأعداء على حدود البلاد (إسرائيل) لشن حرب، تسقط جميعاً أمام أشعة الموت، وتنقذ إسرائيل. ذلك هو الخيار الذي أشار إليه «فويجلمان»، وعرضه علي، وبعده انفصلت عنه ولم أعد لرؤيته مرة أخرى[1].

يمثل ما جاء في الفقرة السابقة قمة هلع يهود الشتات الغربي، وخوفهم على مصير إسرائيل، والتصور بإمكانية زوالها، في حال توحد وتجمع الجيوش المعادية حولها، وخشية هلاك سكانها، إذا ما استخدمت تلك الجيوش القنبلة الذرية، حيث من الوارد أن تمتلكها إحدى الدول العربية.

ومن هنا، جاء التصور بامتلاك سلاح سري يفوق القنبلة الذرية، وهو (أشعة الموت)، حيث يكون هذا السلاح مخزوناً بإسرائيل فحسب، ويوجه من داخلها ليدمر كل الجيوش المهاجمة على حدوها في ثوان معدودة. وهذا التصور الغربي يربط الإمكانيات الهائلة (التي عرضها من قبل) للعقول اليهودية في شتى أنحاء العالم، وبين ميثاق الأسرار، وامتلاك وسائل سرية مدمرة للدفاع عن إسرائيل.

وحول معاداة السامية، وتبدل أحوال اليهود وصعودهم في دول الشتات، يدور الحوار التالي من «رواية فويجلمان» «لأهارون ميجد»، بين بطل الرواية، و«أربيل» أستاذ

(١) שם עמ 254.

التاريخ، أثناء زيارته باريس:

«وما أن أصبحنا بمفردنا، سألته: هل كانت عنده نية خاصة من وراء ما فعله، عندما أرسل لي كتب «فارفيت» و«ديقة» اندهش، وقال: أردت أن أوضح لك أن أموراً كثيرة اختفت من العالم، ومعاداة السامية موجودة للأبد، لم تبق فحسب، ولكن لم تتغير أيضاً، تلك فرية الدم تطل برأسها من جديد – منذ عهد إفيون، وحتى هتلر، وأربعون عاماً بعد هتلر، أيضاً.

لم أندهش إذا كان ذلك في باريس، منارة الحرية. تندلع بالغد إشاعة إن طفل كاثوليكي قتل لتخبز بدمه فطائر عيد الفصح، وسوف يصدق ذلك عدد ٢ مليون شخص.

قلت إنه توجد مبالغة كبيرة في أقواله.

منذ سنوات، ليست بعيدة اختير يهودي لرئاسة حكومة فرنسا، والآن يوجد لباريس رئيس أساقفة من أصل يهودي، حيث يصرح علانية، أنه على الرغم من كونه مسيحيًا حسب عقيدته، لم ينقطع عن كونه يهوديًا نعم. نعم.

هز «فويجلمان» رأسه. نعم. نعم»[1].

الإحساس باليهودية والشعور بالخوف من الآخرين هو إحساس داخلي يشعر به اليهودي، ويكون الحاكم لتصرفاته وسلوكه في بيئته، ومن هنا، جاء إحساس «فويجلمان» وشعوره بيهوديته المتدنية، وخشيته الدائمة من مواجهة موقف من إحدى المواقف المأخوذة على اليهود في أعيادهم، وهي خلط فطائر الفصح بدم بشري غير يهودي، وفي داخله أن هذا من الممكن حدوثه في باريس، موطن شتاته هو، ووقتها سيصدقه الجميع، وتكون الكارثة.

ولكن الواقع رد له صوابه بأن اليهود في شتاتهم أصبح لهم دور، في الوقت الراهن، ودلل على ذلك بما في باريس نفسها، حيث إن رئيس أساقفتها من أصل يهودي، وكان رئيس حكومة فرنسا في فترة من الفترات، يهودي.

(١)מגד אהרון: פוגלמן שם עמי ١٠٧.

وباريس موطن شتات «فويجلمان»، بطل رواية «فويجلمان»، لها دور كبير في أحداث الرواية التي صدرت عن البطل وضيوفه من إسرائيل، وخاصة ما قدمته من دعم يشمل خطط دفاعية عن إسرائيل، وما وصل إليه اليهود في مكانه في باريس، «فمن مفارقات القدر أن ولدت الصهيونية في مكان لم يخطر ببال، ولدت في قاعة محكمة الجيش في باريس، في ١٩ ديسمبر ١٨٩٤، إذ ارتفع الستار عن قضية القرن العاصفة، وكان «الفريد دريفوس»، بؤرة العاصفة، وكان ممن شهد المحاكمة وتأثر بها يهودي من النمسا، اسمه «تيودور هيرتزل»، أحس أن العالم كله يتفتت بهذه المحاكمة، واتضح له فجأة أن اليهود لن يتمتعوا أبداً بالسلام، والأمن، والاحترام، وهم مشتتون بين أمم أخرى، وما كان لهم أن يأملوا في ذلك حتى يكون لهم وطن، هو فلسطين. ومن ثم أعد كتاباً عن إقامة دولة لليهود، بعنوان «دولة اليهود»، ترجم إلى عدة لغات، وسبب إثارة كبيرة في دوائر اليهود، حتى قال اليهود إنه المسيح المنتظر الذي سيقود الشعب اليهودي إلى «أرض الميعاد»[1].

ومن أهم القضايا الثائرة، في الوقت الراهن، في المجتمع الإسرائيلي قضية «من هو اليهودي»، وهي قضية موضع خلاف حاد، وعلى الرغم من التسليم بأن كل من يولد من أم يهودية فهو يهودي، ولكن الأهم في هذا هو الإحساس أو الشعور، فيقولون إن كل من يشعر بداخله أنه يهودي فهو كذلك، وهو ما تشدد عليه الصهيونية على اليهود أنفسهم وخاصة بالشتات، لا ينسون يهوديتهم على الرغم من احتمال جلب المشاكل، كما عبر عن ذلك أهارون ميجد، في رواية «فويجلمان»، من خلال بطل الرواية الشتاتي المقيم بباريس، ويشعر بداخله بأن سهام العداء موجه ضده، لمجرد أنه يهودي، وهو يشعر بذلك.

وكذلك بطل رواية «حفرة الثلج»، حيث يصوره «أهارون أبيلفيد»، شاباً يهودياً يتخبط في دول الشتات الغربي، مستشعراً بيهوديته أنه مطارد على الدوام، وعنه يقول «عاموس برت»:

(١)شريف حسين (دكتور): المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية ١٩٠٠ ق.م ١٩٩٥م، من العهد القديم إلى قيام دولة إسرائيل (١٩٠٠ – ١٩٤٨)، جـ١ الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة ١٩٩٥)، ص ٢١٠.

«منذ بضعة سنين سمعت على لسان «حاييم جوري»، قصة عن صبي يهودي في التاسعة من عمره، نجح في الهرب من بيته، في فترة «أحداث النازية»، وهكذا تشرد بين القرى والمدن، هرباً من تهديد جيوش الاحتلال. أخذ الفتى الصغير حبلاً سميكاً، وربط به بنطلونه بكل قوة، حتى لا يفلحوا في رفع بنطلونه لأعلى. تشرد الصبي على مدار سنتين كاملتين، في شتى أنحاء أوروبا القائمة حتى تمكن من النجاة، وحتى شهرين بعد الحرب، ولكن يبقى، حالياً، شرخ عميق في داخله، فهو تائه يرجو جماعة تحتضن شبابه، وبين الحين والآخر، عندما تظهر قضية (من هو اليهودي) دون المفهوم السياسي، ولكن بمفهوم العمق الداخلي، فإن ذلك يذكرني بتلك الرواية»[1].

«لقد أطلقت إسرائيل على نفسها في مستهل نشأتها، عام ١٩٤٨م، دولة الشعب اليهودي، وأصدرت قانون العودة الذي يمنح الجنسية الإسرائيلية تلقائياً لأي يهودي يصل لإسرائيل، ولم تستطع إسرائيل الهروب من الضرورة الخرقاء، والمشحونة بالتعقيدات الدينية، والفلسفية، والعنصرية، في تقرير من هو اليهودي، في إطار المنظمة التشريعية؟ وهل هناك معيار تشريعي لذلك؟ إن أي إنسان يدعي أنه يهودي سوف تعترف به الدولة اليهودية رسمياً، وإن الشروط الإصلاحية (والمحافظة) للتحول إلى اليهودية، غير معترف بها من قبل الأصولي، بل ويعتبرونها موضوعاً هزلياً»[2].

(١)ברט עמוס: מכרה של קרח או מחצי אנוש עמודים ירחון הקובץ הדתי נובמבר 1997 עמי 24 .

(٢)لانداو، ديفيد: الأصولية اليهودية العقيدة والقوة، ترجمة: مجدي عبد الحكيم، مكتبة مدبولي، (القاهرة ١٩٩٤)، ص ٣٨.